الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

- تخصص : اللسانيات التطبيقية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي بعنوان :

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

حقل (الإيمان، الإسلام، الكفر، الشرك).

إعداد الطالبتين :

- براهيمي أمال
- خديمي زينب

إشراف الدكتور :

د. إبراهيم بلقاسم

السنة الجامعية : 2022 / 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

تخصص : اللسانيات التطبيقية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي بعنوان :

التفسير الموضوعي للقرآن الكريم
حقل (الإيمان، الإسلام، الكفر، الشرك).

إعداد الطالبتين :

- براهيمي أمال
- خديمي زينب

إشراف الدكتور :

د. إبراهيم بلقاسم

السنة الجامعية : 2022 / 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح الرحمة، المُهداة والنعمة المُسداة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى المرأة التي غذتني بلبنها حب الخير واتباع الحق، أمي الغالية الحنونة.

إلى الرجل الذي لم يدّخر جهدا بتربيتي وتعليمي أبي العزيز.

أهدي هذا الجهد عرفانا لجميلهما أطال الله في عمرهما في طاعة الله وفي نعمتيْ الصحة والهناء.

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث إلى أستاذي الفاضل الذي لم يبخل علينا بشيء، إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية.

إلى جميع أفراد أسرتي وإخوتي سعيد، خضرة، ومروة.

إلى كل من أدركه القلب ولم يدركه القلم.

أهديكم جميعا ثمرة جهدي هذا المتواضع.

أمال

إهداء

إلى من سهرت ليال طويلة من أجل راحتي، ومن استيقظت فجرا من أجل الدعاء لي...

"إلى أمي متّعها الله بالصحة والعافية"

إلى من شجعني على المثابرة طوال عمري، إلى الرجل الأبرز في حياتي.

"والدي العزيز"

إلى من شاركوني طفولتي وأحبوني بصدق وإخلاص وتعاونوا معي لإتمام دراستي هذه...

"إلى أخي عبد القادر، وأخواتي خيرة، حليمة، وفاطيمة."

إلى من تطيب الأوقات بصحبتهم، ويطبع لكل شيء له معنى أعمق ضحكاتهم ... أصدقائي الأحباء.

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة...

"إلى أستاذنا الفاضل"

-زينب-

شكر وتقدير

الشكر والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، شكرا يليق بعظيم سلطانه وجلال وجهه، الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا النبات وأعاننا على إتمام هذا العمل بعد أن سافرنا لنضع النقاط على الحروف ونكشف ما وراء ستار العلم والمعرفة، فها هي ثمار علمنا لقد أيعنت وحان موعد قطافها.

فلا يسعنا بعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة إلا أن نتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ المشرف **"الدكتور إبراهيم بلقاسم"** حفظه الله الذي قبِل الإشراف على هذه الرسالة ونقدم له خالص التحية على رعايته وعنايته لنا والذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهه السّديد ونشكر له تفهمه ونزاهته واحترامه لأفكار غيره وتوجيهاته الخالصة لطلبته ووفائه المنشود لهم.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لكل من أوعّز لنا بفكرة أو نبهنا وأرشدنا إلى مرجع أو كان سببا في إتمام هذا البحث.

كما يسرنا أن نشكر عضوي لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الرسالة.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد:

التفسير الموضوعي أسلوب من أساليب تفسير القرآن الكريم تطور في العقود الأخيرة تطورا ملحوظا، حتى برز بثوبه الجديد على الساحة التفسيرية مكتسبا مكانة مميزة لدى الكثير من المفسّرين لا سيّما في العصر الحديث وقد اكتسب هذه المكانة المرموقة بسبب نتائجه الرائعة التي أثبتت أن القرآن الكريم كتاب مقدس مواكب للحياة البشرية وتطورها، ويعد التفسير الموضوعي منهجا جديدا في حقل الدراسات القرآنية، لذا تسابق الباحثون في مضماره، وكل من قدّم بضاعته حسب ما جمعه وتوصل إليه باجتهاده، فالتفسير منذ ظهوره إلى ما هو عليه الآن قطع شوطا كبيرا في ميدان العلوم الشرعية.

وتكمن أهميته في عدة أمور كونه موضوعا متعلقا بالقرآن الكريم، وهو ظاهرة متجددة في منهجية كشف المراد الإلهي (التفسير) لم تكن تعرف سابقا في علم التفسير بثوبها الجديد في العقود المتأخرة، وله معطيات عظيمة تفتح أفاقا جديدة تسهم في حل المشاكل البشرية المتجددة، وترد الشبهات الناتجة عن النظرة الجزئية للآيات القرآنية، وأن التفسير الموضوعي ظهر لخدمة كتاب الله عزوجل في ميادين كثيرة، وقد أشكل على بعض الباحثين والمتخصصين في التفسير القرآني تصوره أن يكون من التفسير المشروع والمعتبر لعدم إبراز مبادئه النظرية من قبل المهتمين به بشكل بيّن وواضح.

لقد كان هدف هذه الدراسة هو محاولة شد هذا الخلل الحاصل في التفسير الموضوعي، وبيان المراحل التي مرّ بها، والتعريف بأهمية التفسير الموضوعي والجهود المبذولة فيه.

اختيار الموضوع الذي جاء تحت عنوان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم كان بناء على عدة اعتبارات وهي البحث عن إدراك أهمية هذا النوع من التفسير القرآني، وقد راودتنا فكرة إثبات مشروعيته حجية نتائجه منذ بدايتنا الدراسية،

ورغبتنا في التعرف على مواصفات ما كتبه المتقدمون في علوم القرآن والطرق التي اتبعوها.

ولهذه الأسباب والدوافع اخترنا هذه الدراسة لعلنا نصل إلى أجوبة عن الأسئلة التالية: ما مفهوم التفسير الموضوعي؟ وكيف تطور هذا المصطلح؟ وما هي خطواته؟ وما هي أهم ضوابطه؟

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول الموضوع فهناك رسالة مقدمة لنيل الماجستر حملت عنوان **"مباني التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"** للباحث محمد رضا أمين، وقد كتبت في الآونة الأخيرة دراسة لمحمد فاكر المبيدي تحت عنوان قواعد التفسير الموضوعي.

أما بالنسبة إلى موضوع التفسير الموضوعي فلم نعثر على من كتب فيه بعنوان صريح وواضح ولكنه ذكر كمباحث ضمنية في بعض المؤلفات وهي: البداية في التفسير الموضوعي للدكتور عبد الحي الفرماوي، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم لأحمد عبد الله الزهراني، وكذلك مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.

أما منهجنا في هذه الدراسة هو المنهج **الوصفي التحليلي والاحصائي** كما عرضت هذه الدراسة وفق خطة بحث منهجية اشتملت على مقدمة، مدخل، فصلين، وخاتمة.

الفصل الأول وهو الجانب النظري بعنوان التفسير الموضوعي. واحتوى على ستة مباحث، فالمبحث الأول تكلمنا فيه عن مفهوم التفسير الموضوعي (لغة واصطلاحا)، أما المبحث الثاني تحدثنا فيه على نشأة التفسير الموضوعي، والمبحث الثالث كان بعنوان خطوات البحث في التفسير الموضوعي، والمبحث الرابع بيّنّا فيه ضوابطه، والمبحث الخامس تعلق بألوان التفسير الموضوعي، والمبحث الأخير وسمناه بأهمية التفسير الموضوعي.

أما الفصل الثاني: والذي يمثل الجانب التطبيقي فقد جاء بعنوان تفسير آيات قرآنية واستقرأنا فيه أهم النقاط التي جاءت في هذا الموضوع، وتطرقنا فيه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول جداول إحصائية للمصطلحات القرآنية (الإيمان، الإسلام، الكفر، الشرك). والمبحث الثاني يتناول نماذج من تفسير بعض الآيات

القرآنية، والمبحث الثالث أشرنا على الفرق بين الإيمان والإسلام، والمبحث الرابع والأخير حددنا فيه الفرق بين الكفر والشرك.

واختتمنا بحثنا بخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة حتى يتيسّر على القارئ استيعاب مضمون البحث.

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا في إتمام هذا البحث ففي الجانب النظري رجعنا كثيرا إلى كتب التفسير ومن أهمها:

- مباحث التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي لعبد الستار سعيد.
- التفسير الموضوعي أساسياته واتجاهاته لعباس فضل حسن.
- دراسات في التفسير الموضوعي لزاهر بن عواض الألمعي.

أما في الجانب التطبيقي رجعنا إلى المختصر في تفسير القرآن الكريم.

- تفسير القرآن العظيم لأبي فداء إسماعيل بن عمر بن كثير.
- جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري.
- تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.

ورغم المجهودات التي بذلناها لإنجاز هذا البحث إلا أنه واجهتنا بعض الصعوبات ارتبطت بطبيعة الموضوع أولا، وعدم توفر المصادر والمراجع في مكتبتنا وخاصة التي تتناول التفسير الموضوعي وهذا ما اضطرنا للبحث في رفوف المكتبات الأخرى، وتعذر لنا تحميل بعض الكتب من المواقع الإلكترونية واقتنائها.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ الدكتور "إبراهيم بلقاسم" على ما أولانا به من الاهتمام الكبير ولما تفضله علينا من دعم وتوجيهاته وعلى متابعته وإشرافه على هذه المذكرة فجزاه الله من واسع فضله وعطائه، كما نشكر السادة أعضاء مناقشة الرسالة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله من وراء القصد وهو يهدي السّبيل.

الفصل الأول: التفسير الموضوعي

المبحث الأول: مفهوم التفسير الموضوعي.

المبحث الثاني: نشأة التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: خطوات البحث في التفسير الموضوعي.

المبحث الرابع: ضوابطه.

المبحث الخامس: ألوان التفسير الموضوعي.

المبحث السادس: أهمية التفسير الموضوعي.

مدخل:

إن القرآن الكريم كتاب منزل لهداية البشرية وإصلاح حياة الفرد والجماعة المسلمة في جميع نواحي الحياة ، ويحظى بمنزلة عظيمة في نفوس المسلمين كونه كلام ربّ العالمين ، فإذا علم المسلم أنّ قراءة القرآن سببا في علو درجته عند ربّه –عزّوجلّ- أقبل عليه إقبال المحبّ ، تلاوة وتعلما وتدبرا ، ويذكر أنه لا يوجد في تاريخ البشرية كتابا حفظ وقرئ كما القرآن ، وتظهر مكانته في حياة المسلمين[1] بأن القرآن الكريم من أبرز عوامل توحد المسلمين ، فقد أوجب الله -تعالى-الاعتصام بالقرآن الكريم والرجوع إليه و إلى السنة النبوية عند الاختلاف ، ممّا يشكل وجهة واحدة لكل المسلمين في السعي لتحقيق مصالح الدين والدنيا ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2] والقرآن حبل الله المتين الموصل لطريق الحق المبين ، يقول النبي صل الله عليه وسلم : ﴿**ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة**﴾.[3]

القرآن منهج تربية المسلمين ، فقد حملت مضامينه منهجا يهدق إلى إيقاظ بواحث الخير في نفوس المسلمين وتوجيه طاقاتهم توجيها سليما في كافة المجالات التعبدية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية وغيرها.
القرآن منهاج الحياة للمسلمين والذي من شأنه أن يوجه الفرد المسلم إلى طريق الحق القويم في علاقته مع الله -تعالى-وعلاقته مع الناس ومع نفسه، فيعبد الله ويطيعه ، وينظر إلى الكون نظر المتأمل المتفكر في عظمة الله الخالق، ويتعامل مع الحياة الدنيا على أنها وسيلة للحياة الآخرة، وليست غاية في حدّ ذاتها، كما على المسلم أن يتبع منهج الله في طلب الحق وتزكية نفسه ، ويؤدي حقوق غيره

---

[1] محمد الدوسري ، عظمة القرآن الكريم ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط1 ، سنة 1426هـ ، ص 525-538 .
[2] سورة آل عمران ، الآية 103 .
[3] رواه مسلم ، في صحيح مسلم ، عن يزيد بن حيّان ، ص 2408 .

من الناس ، ويدافع عن أمّته وينصح لها، أمّا عن علاقته لغير المسلمين فقد بيّنها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾.[1] وتكمن أهمية تفسير القرآن الكريم في العديد من النواحي أهمها أنه كلام الله عزوجل و خطاب الله لعباده بما اشتمل عليه من أوامر ونواه ودستور للمسلمين الخالد ، الذي لا بدّ من فهمه للتمكّن من العمل بما نصّ عليه . ولدفع الشرور والدعوة للحق ونصرته ، وللتعامل بما يرضي الله سبحانه ، إذ أن القرآن يرشد الناس للصواب ، للدعوة للحقّ و إنذار الناس من الوعيد وتبشرهم بما فيه خيرا لهم لمن يؤمن بالله ويتبع الهدى ، وتفريقهم بين الحقّ والباطل ، وإخراج النّاس من الظلمات إلى النور ، قال الله تعالى: ﴿**الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[2] ، ويقصد بحاجة الناس لفهم القرآن ومعرفة معانيه ، إذ يعدّ ذلك الأمر ضرورة ، إذ أنّ من الضرورة الدعوة لله سبحانه على بصيرة بما تعلّم من معاني القرآن .

- **تعريف التفسير الموضوعي :**

تعريف التفسير لغة : اختلف علماء اللغة في اشتقاق لفظ التفسير ، فقيل : هو تفعيل من الفسر والتفسير : التفعيل من من الفسر ، وهو البيان ، فسّر الشيء يفسّره بالكسر ، ويفسّره بالضّم وفسره أبانه ، والفسر كشف المغطى ، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل في القرآن : "ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا"[3] –الفرقان- أي أحسن توضيحا وبيانا للمطلوب .

وقال الراغب الأصفهاني : " الفسْرُ والسفْر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسْر لإظهار المعنى المعقول ، وجعل السفْر لإبراز الأعيان

[1] سورة الممتحنة الآية 8-9 .
[2] سورة إبراهيم الآية 01 .
[3] سورة الفرقان ، الآية 33 .

الأبصار ، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها ، وأسفر الصبح، وفسر بالمعنى بيّن ووضح ، وكلام مفسر أي واضح ظاهر "[1]

وقيل : " الفسر : البيان ، وقد فسرت الشيء أفسره فسرا، وتفسير مثله واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي ، والفسر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك تفسره."[2]

التفسير اصطلاحا : علم يكشف به عن المعاني آيات القرآنية وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية .

وعرّفه أبو حيان الأندلسي بقوله : التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب .

تعريف الموضوعي لغة : الموضوع لغة : من الوضع ، وهو جعل الشيء في مكان ما ، سواء كان ذلك بمعنى العطا والخفض ، أو بالمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ، يقال ناقة واضعة : إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح ، وقيل وضعت وضيعة فهي واضعة وكذلك موضوعية يتعدى ولا يتعدى ، وهذا المعنى ملحوظا في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بالمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به .[3]

وفي الاصطلاح : قضية ، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم.[4]

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباي الحلي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط7 ، ص 38 .

[2] الجوهري ، تاج العروس وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، الناشر دار العلم الملايين ، بيروت لبنان ، ط 1990/4 ج 2 ، ص 20 .

[3] عبد الستار سعيد ، المدخل إلى تفسير الموضوعي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط2 1991 ، ص 20-21 .

[4] مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار العلم ، الدار الشامية ، دمشق بيروت ، ط3 ، 1423هـ .

تعريف التفسير الموضوعي : مصطلح التفسير الموضوعي بعد أن أصبح علما على لون من ألوان التفسير فقد تعددت تعاريف الباحثين المعاصرين له منها:

- هو بيان ما يتعلق بالموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من الزاوية القرآنية بصدده .
- وعرّفه بعضهم بقوله : هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية .
- وقيل : هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في سورة واحدة أو سور متعددة .
- وقيل : هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم ، المتعددة المعنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها ، على هيئة مخصوصة ، بشروط مخصوصة لبيان معناها ، واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع.[1]
- وقيل : هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر .

وخلاصة القول في تعريف التفسير الموضوعي :

إن التفسير الموضوعي نوع من أنواع التفسير العام ، ظهر هذا العلم على بعض الدراسات التي تعرض فيها بعض الباحثين لموضوع تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق أو طرح قضية يراد بحثها من وجهة نظر قرآنية .

وهو لا يستغني في تناوله عن أنواع التفسير الأخرى ، فإذا تناول الباحث موضوعا محددا و أراد أن يقرر المعنى العام لبعض أو يستنبط بعض الأحكام دخل التفسير المقارن ، إذا التفسير الموضوعي أطلق على فن معين اتبعت فيه طريقة مخصوصة مرتبطة بأنواع التفسير الأخرى وهو خدمة لكتاب الله تعالى وجدت اهتماما بالغا لتعلقها بكتاب الله تعالى الذي جمع فيه أصول الدين وأسرار الحياة والكون لذا سعى القدامى والمحدثون بالتصدي لكشف ما فيه من معاني

[1] زاهر عواض ، دراسات في التفسير الموضوعي ، مطبعة النرجس ، السعودية ، ط4 ، 1428 هـ ، ص 107 .

وأسرار ، وقد كثر في هذا العصر العلم والمتعلمون وتشعبت أنواع التعليم ، واتجه أكثر الناس إلى القرآن وكأنهم سئموا الاضطراب والتخبط ، فطرقوا أبوابا جديدة لكشف وبيان أسرار هذا الكتاب الحكيم .

- **نشأة التفسير الموضوعي :**

لم يظهر هذا المصطلح (التفسير الموضوعي) إلاّ في القرن الرابع عشر الهجري ، عندما قُررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر ، إلا أن لِبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين دلالاتها وتفسير بعضها لبعض مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن كان معروفا في الصدر الأول وقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه عندما سئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة .

روى الشيخان وغيرهما من عبد الله بن مسعود وضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ (الأنعام: 82) شق ذلك على الناس ، فقالوا يا رسول الله و أين لا يظلم نفسه ؟ قال : إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (لقمان: 13)، إنما هو الشرك [1].

روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ (الأنعام: 59) فقال : مفاتح الغيب خمس: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (لقمان: 34) . ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين الآيات القرآنية التي يظن بها بعضهم التعارض .

[1] مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، المرجع السابق ، ص 18 .

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قام علماء الصحابة والتابعين من بعدهم يبينون للناس معاني القرآن ويفسّرونه لهم، واستمرت حركة التفسير في مسيرتها التاريخية على مدار القرون والأجيال على اختلاف مدارها واتجاهاتها.

أمّا التفسير الموضوعي بوصفه علم فهو قديم النشأة ، ثم تطوّر كغيره من العلوم تلبية لحاجات أهل كل عصر ، لظهور كثير من المذاهب و الأفكار وهو بدعا من العلوم أفرزته عقول المتأخرين وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين ولكن بروزه لونا من التفسير له كيانه وطريقه في العصور المتأخرة ، إنما هو تلبية لحاجات العصر لظهور المذاهب والأفكار والآراء التي تتشعب ، ممّا اضطر العلماء للبحث عن كل المسائل في القرآن الكريم ليقينهم بأنه الكتاب الذي يشتمل على دراسة وعلاج كل ما يطرأ في حياة الناس ، لأنه جامع لأصول الدين ومعلم الشريعة ومكارم الأخلاق ، وجعله الله تعالى منارا للمهتدين لذا اهتم به المعاصرون اهتماما كبيرا لمواكبة حاجة العصر ولبيان آن التفسير الموضوعي قديم النشأة و يمكن إجمال مظاهر قدم التفسير الموضوعي في المراحل التالية :

بداية نزول القرآن الكريم أو العهد النبوي :

- بدأ التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان على مراتب :

1) تفسير القرآن بالقرآن : وهو لبّ التفسير الموضوعي و أعلى ثمراته لأن جميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها وتنسيقها كان أبرز ألوان التفسير الموضوعي الذي يربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه ، والمراد بتفسير القرآن بالقرآن، هو تفسير بعض آيات القرآن بما ورد في آيات أخر ، فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر وما أوجز في موضع قد بسط وبيّن في مكان آخر وما أطلق في موضوع فيد في آخر وقد يأتي ذلك متصلا بالمفسّر في سياق واحد [1]. أو يكون المبهم في آية وتفسيره في آية أخرى ، ومن أمثلة ذلك فقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسّر مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾[2] يقول تعالى مفاتيح

[1] مساعد مسلم عبد الله آل جعفر ، أثر التطور الفكري في التفسير في العصرالعباسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1 ، 1405-1984 ، ص 250 .

[2] سورة الأنعام الآية 59 .

الغيب خمسة من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1] ومنها قوله تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[2] وقد فسّر الكلمات في آية أخرى من قوله تعالى: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[3] وقد روي هذا عن كثير من التابعين[4] ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة رضوان الله عليهم من الجمع بين الآيات التي يظن بينها التعارض ومن ثم وضع العلماء بعد ذلك تلك قاعدة في أصول التفسير تقتضي أن أول ما يرجع إليه المفسّر هو الجمع بين الآيات والنظر فيها إذا ما أجمل في مكان قد فصل في آخر وما أطلق في آية إلا وقيد في أخرى ، وما ورد عاما جاء ما يخصصه في سورة أخرى ، وهو أصدق أنواع التفسير والقول بأن التفسير الموضوعي لم يظهر هذا المصطلح إلا في القرن الرابع عشر الهجري عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر ، يعني أنه لم يظهر مادة دراسية منفصلة عن التفسير العام ، ومما تقدم وضح أن لبنات هذا اللون وعناصره كانت موجودة من عصر التنزيل وبدأت بنزوله.

2) تفسير القرآن بالسنة : فقد ورد فيها ثبت وصحّ عن رسوله صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة تؤيد هذا الاتجاه أي أن التفسير الموضوعي قديم النشأة بدأ بنزول القرآن الكريم ثم مرّ كغيره من العلوم بمراحل و أطوار .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في السنة كبيان مواقيت الصلوات الخمس وعدد ركعاتها، وكيفيتها ، وبيان مقادير الزكاة و أوقاتها و أنواعها ، ومن توضيح المعاني ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية:

---

[1] سورة لقمان الآية 34 .
[2] سورة البقرة الآية 23 .
[3] سورة الأعراف الأية 23 .
[4] محمد السيد حسين الذهبي ، مباحث في علوم القرآن التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1، 1398هـ ، ص 35 .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1] شقّ ذلك على الناس فقال : يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه؟ قال : إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[2] هذه إشارة نبوية واضحة فللفظ الواحد قد تكون له معان متعددة في القرآن الكريم ، وأن جمع الآيات يفيد في تحديد المعنى المراد في كل موضع ، وهذا هو منهج التفسير .

- عهد الصحابة والتابعين : القرآن الكريم كان هدف الصحابة الأول يحفظونه ويعملون بما فيه ويهادون بهديه ، ويسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما خفي عليهم ، وحينما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وتركهم على المحجة البيضاء فتحرجوا من القول برأيهم واجتهادهم في التفسير ، وقد اتبعت رقعة الإسلام ودخل في الإسلام غير العرب وحدثت مسائل وقضايا كثيرة واحتاج الناس لمعرفة الفقه والأحكام والتشريع ، فأخذ الصحابة رضي الله عنهم يحققون في الأحكام ويجتهدون في استنباطها من القرآن ولا يكون ذلك إلا بجمع الآيات المتماثلة ومقارنتها وترتيب نزولها وهذا هو التفسير الموضوعي .

خلاصة القول : أن التفسير الموضوعي بتعريفاته المختلفة قديم النشأة ومما سبق أنه بدأ مع التفسير العام ومرّ بأطوار ومراحل إلا أنه لم يظهر بهذا المسمّى الذي أصبح علم يدرس ، منفصلا عن التفسير العام وتدخل أنواع التفاسير التي اصطلح عليها العلماء كالتفسير الإجمالي أو المقارن وغيرها ضمن هذا التفسير .

2. خطوات البحث في التفسير الموضوعي :

إنّ البحث في التفسير الموضوعي بحث عملي أكثر ممّا هو نظري ، وهو يجري –بحسب المنهج العلمي_ وفق خطوات منهجية مبرمجة ، ومراحل متناسقة ، وطرق مدروسة ، ومن جملة ما ذكر في خطواته .

---

[1] سورة الأنعام الآية 82 .
[2] سورة لقمان الآية 13 .

أولا: ما ذكره مصطفى مسلم من أن مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي :

- اختيار عنوان للموضوع القرآني مجال البحث بعد تحديد معالم حدوده ومعرفة أبعاده في الآيات القرآنية .
- جمع الآيات التي تبحث هذا الموضوع أو تشير إلى جوانب من جوانبه .
- ترتيب هذه حسب زمن النزول.
- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية .
- بعد الإحاطة بمعاني الآيات مجتمعة ، يحاول الباحث أن يستنبط العناصر الأساسية للموضوع من خلال التوجهات القرآنية التي أحاط بها .
- ثم يلجأ الباحث إلى طريقة التفسير الإجمالي في عرض الأفكار في بحثه ...
- الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع ...
- وليكن هدف الباحث في كل ذلك ، إبراز حقائق القرآن الكريم وعرضها بشكل لافت للنظر مع ذكر حكمة التشريع وجماله ووفاءه بحاجات البشر ...[1]

ثانيا: ما ذكره زاهر عواض الألمعي من أن هناك طريقتين لهذا النوع من التفسير، ولكل طريقة مراحلها الخاصة والطريقتان هما :

أولاهما : "أن يجعل السورة القرآنية وحدة متكاملة هدفها واحد و إن تعددت موضوعاتها ."

ثانيتهما: أن نجمع الآيات ذات الهدف المشترك، ونرتبها على حسب ترتيب النزول ما أمكن مع الوقوف على أسباب النزول إن وجدت ونتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط، ونزنها بميزان العلم الصحيح، مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع التي وردت في القرآن الكريم ..."[2]

[1] مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، المرجع السابق ، ص 37-39 .
[2] زاهر بن عوض الألمعي ، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دون دار نشر، الرياض، ط1، 1405هـ ، ص 21-22.

وقد بيّن بعد ذكر الطريقتين أن الطريقة الثانية هي المعمول بها في البحوث الموضوعية، وإذا أُطلقت كلمة (التفسير الموضوعي) فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم.[1]

- وأمّا خطواته فهي:

1) جمع الآيات ذات العلاقة بالموضوع.
2) ترتيب الآيات المجموعة حسب النزول ما أمكن.
3) إزاحة ما هو موهم بالاختلاف والتناقض بين الآيات القرآنية.
4) تفسير الآيات أثناء عرضها، وتدعيمه بالسُنة النبوية وأقوال السلف الصالح.
5) إخراج الموضوع متكاملا تامّا للبناء والإحكام، مع مراعاة البحث العلمي.[2]

ثالثا: ما ذكره محمّد علي رضائي الأصفهاني من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع .
- الاستفادة من طريقة القرآن بالقرآن بجعل الآيات القرآنية إحداهما قرينة على فهم الأخرى.
- الخروج برأي نهائي حول هذا الموضوع.[3]

رابعا: ما ذكره صلاح عبد الفتّاح الخالدي، إذ ذكر لمراحل إجراء التفسير الموضوعي نوعين من المراحل:

النوع الأول: عام للألوان الثلاثة وهي :

- أن يسّجل الباحث أهدافه التي يريد تحقيقها من بحثه.
- أن يحدد الباحث مدى الحاجة المعاصرة إلى بحثه.
- أن يطلع الباحث على الأبحاث والدراسات القرآنية الأخرى.
- أن لا يكون لدى الباحث غرض مسبق يريد ترسيخه من خلال القرآن .
- أن يقرأ الباحث قراءة شاملة عامّة.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 22.
[2] المرجع نفسه ، ص 23.
[3] محمد علي الرضائي الأصفهاني ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، مركز المصطفى صلى الله عليه و سلم العالمي للترجمة والنشر ، دون بلد النشر ، ط2 ، 1431هـ ، ص 311.

النوع الثاني: الخطوات الخاصّة بكل لون وهي:

1) بحث المصطلح القرآني وتفسيره موضوعيا إذ قال: يتم على مرحلتين:

➢ المرحلة الأولى : مرحلة البحث والجمع ؛ وهي تجري وفق الخطوات التالية:

- إعادة الكلمة إلى الجذر الثلاثي.
- البحث عن المعنى اللغوي الاشتقاقي لهذه الكلمة في أمهات كتب اللغة.
- النظر في معنى الكلمة في الكتب التي تبين معاني ألفاظ القرآن.
- تتابع كل صيغة أو تعريف منها في آيات القرآن.
- تربط بين الأصل الاشتقاقي والاستعمال القرآني.
- تطلع على تفسير الآيات التي تناولت هذا المصطلح.
- تسجّل ما نلحظه من دلالات ولطائف في الآيات.[1]

➢ المرحلة الثانية: مرحلة الترتيب والتبويب والصياغة وذكر لها خطوات وهي:

- إلقاء نظرة فاحصة على المّادة التفسيريّة المجموعة.
- وضع مخطّط منهجي موضوعي للبحث.
- توزيع المادة التفسيرية على فصول ومباحث.
- البدء بصياغة وكتابة كل فصل ؛ وعدم الانتقال إلى الفصل الثاني إلا بعد الانتهاء من الفصل الذي بين يديه.
- الحرص على دقة الصياغة من الناحية الظاهرية.
- ملاحظة اللطائف واللفتات، بأن تكون في مواضعها بحيث تكون متناسقة مع المكان الذي وضعت فيه و لا تكون شاذّة أو ناشرة.
- التركيز على ربط المصطلح القرآني بمقاصد القرآن وأهدافه.
- الإخراج الفنّي المقبول للبحث من حيث المقدمة والفصول.

2) بحث الموضوع القرآني وخطواته:

- اختيار الموضوع القرآني للبحث.
- تسجيل الأساليب التي دفعته للموضوع.
- جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع.

---

[1] الخالدي صلاح عبد الفتّاح ، التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن (التفسير والتأويل في القرآن)، دار النفائس، الأردن ، ط1 ، 1416هـ ، ص 16-18.

- استخراج معاني الألفاظ التي اختارها.
- حصر الآيات التي استعملت المصطلحات الأساسية الموضوعية.
- تسجيل ما يدور حول الآيات التي استخلصها.
- قراءة الآيات التي اخترناها في أمهات كتب التفسير.
- بيان الأبعاد المعاصرة للآيات.
- استخلاص الدلالات والعبر واللطائف في الآيات المجموعة.
- الإطلاع على دراسات الأبحاث القرآنية المعاصرة.

3) بحث السورة القرآنية وخطواتها:

- ذكر اسم السورة التوقيفي ومعرفة اسمها الاجتهادي.
- تحديد مكان وزمان نزول السورة وبيان جوّ نزولها.
- تحديد أهداف السورة الأساسية .
- التعرف على شخصية السورة.
- ربط السورة بما قبلها من السور.
- تقسيم السورة المتوسطة والطويلة إلى أقسام وتقسيم الواحدة إلى دروس موضوعيّة.
- استخلاص أهم حقائق السورة والدلالات التي تقررها.
- الإطلاع على السورة في أمهات كتب التفسير.

ويعتقد أن السورة تبدو بنظره في هذه الحالة وحدة موضوعية واحدة، ذات شخصية بارزة وموضوع عام، وعمود واضح وأهداف محددة.

خامسا: ما ذكره أبو القاسم الحسيني السيستاني من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

- جمع الآيات التي تخدم الموضوع.
- ترتيب الآيات حسب النزول ما أمكن؛ في مكّة أولا، ثم في المدينة ثانيا؛ وما نزل أوّل العهد قبل ما نزل آخره.
- إزاحة ما قد يكون بين الآيات من موهم الاختلاف والتناقض، موقنا أن القرآن لا يوجد فيه اختلاف أو تناقض، وعليه يمكن التوفيق بينهما.

- تفسير الآيات أثناء عرضها تفسيرا يفهم منه الحكمة في إيراد أسباب النزول إن وجدت، وشرح قصة من قصص الأنبياء و الأمم السالفة إن وردت في الآيات محل الشرح، مع مراعاة شروط المفسّر أثناء عرض الموضوع.
- إخراج الموضوع في صورة متكاملة تامة البناء والإحكام بمراعاة شروط البحث العلمي.[1]

سادسا: ما ذكره كامران إيزدي مباركة تحت عنوان : (الطريقة الصحيحة للتفسير الموضوعي) من أنّ هناك طريقتين لإجراء التفسير الموضوعي هما:

الطريقة الأولى: اختيار موضوعات مختلفة أعم من أن تكون اقتصادية، أخلاقية، فقهية، ثم يؤتى بالآيات بعنوان شاهد ودليل صحة، ثم تذكر النتائج التي تحصّلت.

الطريقة الثانية: جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد في كل القرآن، وبدون الحكم عليها توضع إلى جنب بعض، ثم تفسّر تفسيرا بشكل مجزأ، ثم نجمعها ونستخرج الرابطة فيها ثم تخرج بنتيجة كليّة.[2]

سابعا: ما ذكره محمد رضا الحسيني الشيرازي، من أنّ مراحل إجراء التفسير الموضوعي كالآتي:

- جمع الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع المقصود من مختلف السور القرآنية.
- فرز الآيات وتصنيفها ووضع كل واحد منها مع الآيات المماثلة لها.
- ترتيب هذه المجموعات على حسب ما يقتضيه: (الإطلاق والتقيد)، و(الخاص والعام)، و(التقديم والتأخير) وغير ذلك.
- استنباط الرؤية المتكاملة والنهائية من خلال ذلك[3].

ويلاحظ في نقاط الخطوات والمراحل الآنفة للذكر، أنها ابتعدت في أغلبها عن كونها خطوة أو مرحلة، وهو أمر ولّد إرباكا وتداخلا يمتنع معه الجزم

---

[1] الحسيني السيستاني ، سيد أبو القاسم ، تفسير موضوعي آيات قرآن دار كنج ، دون بلد النشر ، ط1 ، 1386 هـ ، ص 22 .

[2] إيزدي مباركة كامران، شروط وآداب تفسير ومفسّر ، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ط1 ، 1376، ص 374.

[3] الحسيني الشيرازي ، محمد رضا، التدبر في القرآن، دار العلوم، بيروت، ط2، 1431هـ ، ص 110.

والترجيح، وعليه فإن أنسب ما قيل في المقام هو قول محمد علي رضائي، وكامران إيزدي مباركه في الطريقة الثانية ومحمد رضا الحسيني الشيرازي، والذي يمكن أن يلّخص جميعا بالمراحل التالية:

- تعين وتشخيص موضوع البحث مطلقا سواء كان من القرآن أو خارجه.
- استقصاء الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.
- معالجة الآيات المجموعة معالجة تفسيرية ترتبية، ومن ثم موضوعية.
- جمع النتائج الجزئية ، والخروج منها بنظرة أو نظرية قرآنية في خصوص موضوع البحث.

3.ضوابط التفسير:

لتفسير كلام الله تعالى أصول وضوابط يجب مراعاتها قبل البدء في تفسيره، لذا يجب على من أراد التصدي لتفسير القرآن الكريم أن يلتزم بها ويطبقها، ويمكننا نوجز أهمها:

1. معرفة موضوع القرآن وهدفه:

إن على المفسّر أن يكون عارفا مطلعا على موضوع القرآن وهدفه، فهذه المعرفة تعين على الفهم السليم، وتعصم من الانحراف والزلل الذي وقع فيه بعض المفسّرين حينما انحرفوا في تفسير القرآن عن مقصده فالقرآن الكريم أنزله الله لهداية الخلق وإرشادهم لكل ما هو أقوم في حياتهم ، قال الله تعالى: "إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم"[1] هداية لكل ما هو أقوم في عقائدهم، وعبادتهم، وأخلاقهم، وعلاقات الناس بعضهم ببعض، من تصدى للتفسير أخذ يتلمس بعض العلوم – كالفلك، والكيمياء، وطبقات الأرض، والطب،... وغير ذلك- من القرآن الكريم، وأغرق في ذلك، وسمّيت هذه الكتابة ب "التفسير العلمي" فأبعدوا القرآن عن هدفه.

[1] سورة الإسراء الآية 09.

يقول سيد قطب: ولم يجئ –أي القرآن- ليكون كتاب العلم فلكي أو كيماوي أو طبي ... كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما بعض الطاغيين فيه أن يلتمسوا مخالفته لهذه العلوم.

إنّ كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله. إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية وإن وظيفته أن ينشئ تصورا عاما للوجود وارتباطه بخالقه، ولوضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقته ثم قال: "إنّ مادة القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها، لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات- "إنّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها، لأنه هو الإنسان ذاته الذي يكشف هذه المعلومات وينتفع بها، والبحث والتجريب والتطبيق من الخواص العقل في الإنسان، والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمع لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه، وبعد أن يوجد الإنسان السّليم التصور والتفكير والشعور، ويوجد المجتمع الذي يسمع له بالنشاط."[1]

فموضوعه هو الإنسان ذاته، هدايته إلى ما فيه صلاحه، وإخراجه من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهدى والفرقان**﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿**الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**﴾.[3]

إنّ معرفة الموضوع والهدف لأي عمل هو الأساس لمعرفة الحقيقة والوصول إلى المطلوب، فمعرفة الموضوع القرآن أساس فهمه وإدراك معناه، وتجعل دارسه مدركا لموضوعاته التي يتحدث عنها وتعاونه في تحقيق هدفه.

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق للنشر ، مصر، ط6 ، 1398 ، ج1، ص 181-182.
[2] سورة البقرة، الآية 185.
[3] سورة إبراهيم، الآية 01.

2. دراسة القرآن قبل بدء في تفسيره:

لا بد للمفسّر قبل بدء في التفسير من دراسة القرآن الكريم دراسة شاملة مفصّلة يتعرف من خلالها معاني القرآن كله وتتكون لديه نظرة شاملة نحوه.

فالذي يريد معرفة القرآن الكريم معرفة إجمالية لا تكفيه قراءته ودراسته مرة أو مرتين فكيف بمن يريد أن يغوص في أعماقه، ويدرك أسراره، فلا شك أنه بحاجة إلى دراسته مرات ومرات، ويقبل عليه بلا ملل ولا كلل، وباعتناء وتدبر بعيدا عن الصوارف والشواغل.

3. الإلمام بعادات العرب في الجاهلية:

إن على المفسّر أن يكون ملما بعادات العرب في الجاهلية مطلعا على أقوالهم، متعرفا على أفعالهم، واقفا على أحوالهم الاجتماعية وحروبهم وتاريخهم وأديانهم. ذلك أننا نجد في القرآن الكريم آيات تتعرض إلى بعض أمورهم، فإذا لم يكن المفسر عارفا بأحوالهم حالة التنزيل لم يستطع أن يفهم معاني الآيات حق الفهم، ولا أن يدرك أثر القرآن العظيم في تغيير حياتهم، وما كانوا عليه من عادات فاسدة.

ويوضح ذلك الأمثلة التالية:

أ قول الله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**[1]﴾ حيث أمر بإتمام الحج دون الأمر بأصل الحج، لأنهم كانوا قبل الإسلام آخذين به، لكن بتغيير بعض الشعائر فجاء الأمر بالإتمام لذلك.

ب قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى**﴾[2] فعيّن هذا الكوكب لكون العرب عبدته، وهم خزاعة، ابتدع ذلك لهم أبو كبشة ولم تعبد العرب من الكواكب غيرها، فلذلك عينت.

---

[1] سورة البقرة، الآية 192.

[2] سورة النجم، الآية 49.

4. معرفة عرف القرآن والمعهود من معانيه:

إنّ للقرآن عرف خاص ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها و لا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، قال **الإمام ابن جرير الطبري:**

إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون خفي حتى تأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه إلى خفي من معانيه ، حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اجتماع من أهل التأويل[1].

وقال ابن القيم: للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره تغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلّها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قُدرُ العالمين، فكذلك معانيه أجّل المعاني و أعظمها وأفخمها فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به بل غيرها أعظم منها وأجّل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي.

فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسّرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه.[2]

فمعرفة عرف القرآن في ألفاظه أمر لا بد منه في تفسير كلام الله تعالى، فإن كثيرا من الألفاظ اشتهرت بمعان معينة، ولكنها جاءت في القرآن بمعان أخرى، ومن ذلك مثلا لفظ "التأويل" اشتهر بمعنى التفسير مطلقا أو على وجه مخصوص، ولكنه جاء في القرآن بمعان أخرى كقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا**

[1] محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري (جامع البيان عن التأويل أي القرآن) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط3 ، 1388هـ ، ج 8 ، ص 509.

[2] ابن القيم الجوية، بدائع التفسير ، تح: يسرى السيد، صالح الشامي، دار ابن الجوزي، ج2، ص 248.

تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.[1]

حيث معناه: عاقبة ما وعد الله في القرآن من الخير والشر يوم القيامة.[2]

وأيضا يوجد ألفاظ عرفت بالقرآن بمعنى معيّن ، ولكن حدث بعد ذلك أن اصطلح على معنى جديد، فلا ينبغي حمل القرآن عليه، كاللفظ "الولي" معناه في القرآن –غالب-: الناصر ، والموالي وأولياء الله أنصار دينه من أهل الإيمان والتقوى. وقد اصطلح بعد ذلك على أن الأولياء: صنف من الناس تظهر على أيديهم الخوارق، ويتصرفون في الكون بما وراء الأسباب ولم يعرف صحابة هذا المعنى،[3] ويدخل في هذا ما حاوله بعض المعاصرين من تفسيرهم لبعض ألفاظه بما لم يكن معهودا و معروفا في اللسان العربي، كتفسير محمد عبده للطير الأبابيل الوارد في سورة الفيل ﴿**وأرسل عليهم طيرا أبابيل**﴾[4] بأنه من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض.[5] قال محمد حسين الذهبي رادا عليه: "وهذا ما لا نقره عليه، لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب وخاطبهم بما يعهدون ويألفون."[6] فعلى هذا يجب على المفسّر أن يفسّر القرآن بحسب عرف القرآن ومعهوده، وما كان مستعملا في عصر نزوله.

5. مراعاة دلالات الألفاظ ولوازمها:

إنّ على المفسّر أن يراعي ما دلّت عليه الألفاظ، وما تضمنته من المعاني، وما فيها من لوازم، ففي القرآن معان تضمنتها الآيات نصا وهناك معان تلزم منها وهناك معان تتقدمها وتتوقف عليها، ومراعاة ذلك توصل المفسّر إلى الدقة في

---

[1] سورة الأعراف، الآية 53.
[2] البغوي أبو أحمد ، معالم التنزيل (التفسير البغوي) ، تح: خالد العك، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ج2 ، ص 164.
[3] محمد رشيد رضا،
[4] سورة الفيل ، الآية 03.
[5] الشيخ محمد عبده ، تفسير جزء عم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1985 ، ص 65 .
[6] محمد سيد حسين ذهبي، التفسير والمفسّرون ، المرجع السابق، ص 720.

فهم كتاب الله، وتؤدي به إلى الشمول في فهم معناه ، وعدم قصره على معنى واحد فقط.

ويوضح هذه القاعدة الشيخ عبد الرحمن السّعدي بقوله: "كما أنّ المفسّر للقرآن يراعي ما دلّت عليه الألفاظ مطابقة، وما دخل ضمنها، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكرها."

ثم يبين الطريق الموصلة إلى ذلك بقوله والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع: أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من المعاني، فإذا فهمتها فهما جيّدا ففكر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها. وكذلك فكر فيما يترتب عليها وما يتفرغ عنها، وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكير ودوام عليه حتى يصير لك ملكة جيّدة في الغوص على المعاني الدقيقة فإنّ القرآن حق، ولازم حق وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرغ على الحق حق، ذلك كله حق ولا بد.

فمن وفق لهذه الطريقة، و أعطاه الله توفيقا ونورا انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية."[1]

ويوضح ذلك المثال التالي: يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[2] قال ابن كثير معناها "أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس".

وكذلك أمره لعباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر يتوقف ذلك على العلم بالمعروف والمنكر، ليأمروا بهذا وينهوا عن هذا، فما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب.

فعلم بالإيمان والعمل الصالح متقدم على القيام به، والعلم بضد ذلك متقدم على تركه، لاستحالة ترك ما لا يعرفه العبد قصدا أو تقربا وتعبدا حتى يعرفه ويميّزه عن غيره.[3]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القواعد الحسّان لتفسير القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، 1402هـ، ص 31-32.

[2] سورة النساء، الآية 58.

[3] نفس المرجع، القواعد الحسّان لتفسير القرآن، ص 33.

وهكذا نلحظ كيف دلّت هذه الآية على معنى لم يتضح من معناها الأول الظاهر. وحسبي أن هذا لا يؤتاه إلا من رزق حسن التدبر، وسعة الأفق، وسلامة الفكر وعمقه، وقبل هذا الفقه في الدين والبصيرة فيه.

6. مراعاة معرفة معاني الأفعال من خلال ما تتعدى به:

إنّ على المفسر أن يعرف معاني الأفعال لا من خلال أفرادها فحسب، بل من خلال ما تتعدى به، فالأفعال يختلف معناها بحسب ما تتعدى به، فمثلا الفعل "نظر": إذا عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، قال الله تعالى: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾[1]

وإذا عدي ب "إلى" فهو مشاهدة بالأبصار، قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**﴾.[3]

وإذا عدي ب "في" فهو تفكير واعتبار، قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[4]

وأيضا الفعل "استوى" إذا لم يعد دلّ على الكمال كقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ**﴾.[5]

وإذا عدي ب "على" فمعناه العلو والارتفاع، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾[6] وقوله: ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ**﴾.[7]

---

[1] سورة الحديد، الآية 13.
[2] سورة القيامة، الآية 22-23.
[3] سورة الأنعام، الآية 99.
[4] سورة الأعراف، الآية 185.
[5] سورة القصص، الآية 14.
[6] سورة الرعد، الآية 02.
[7] سورة الزخرف، الآية 13.

7. مراعاة سياق الآية والآيات قبلها وبعدها:

إنّ على المفسر أن يراعي سياق الآية ويربطها ببعضها، كما عليه أن يربط الآية بالآيات قبلها وبعدها، فقطع الآية عن سياقها يوقع في الغلط والانحراف. فلا يجوز أن نقطع الآية عن ما قبلها أو ما بعدها ثم نشرحها، إن ذلك يؤدي إلى أسوأ النتائج في كثير من الأحيان وكثيرا ما دخل الانحراف في التفسير من هذا الباب.

فمثلا قوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾[1] لا يجوز أن نفسّرها مقطوعة عن سياقها وما بعدها، إذ لا يتبين المعنى الحق فيها إلا بما بعدها.[2]

وأيضا لفظة "ينظرون" في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ**﴾[3]، جاءت مطلقة ولم تقيد بمنظور دون منظور ولكن بالنظر في سياق الآيات قبلها يتبين أن المقصود بالنظر هو: النظر إلى وجه ربّهم حيث قابلهم بما عاقب به الكفار بقوله: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾.[4]

قال ابن القيم عند تفسيره لهذه الآية:

ولقد هضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم لبعض، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره. وإنما المعنى: ينظرون إلى وجه ربّهم ضد حال الكفار الذين هم عن ربّهم لمحجوبون، وتأمل كيف قال سبحانه ما قاله الكفار في أعدائهم في الدنيا وسخروا به منهم، بضده في القيامة، فإن الكفار كانوا إذ مرّ بهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم ﴿**وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾[5] فقال الله تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾[6] مقابلة لتغامزهم وضحكهم

---

[1] سورة الماعون، الآية 04.
[2] محمد لطفي الصباغ، بحوث في أول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ، ص 93.
[3] سورة المطففين، الآية 22-23.
[4] سورة المطففين، الآية 15.
[5] سورة المطففين، الآية 32.
[6] سورة المطففين، الآية 34.

منهم ثم قال: ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ**﴾[1] فأطلق نظره ولم يقيده بمنظور دون منظور، وأعلى ما نظروا إليه وأجلّه وأعظمه: هو الله سبحانه، والنظر إليه أجلّ أنواع النظر وأفضلها وهو أعلى مراتب الهداية، فقابل بذلك قولهم: ﴿**إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾ فالنظر إلى الرب سبحانه مراد من هذين الموضعين ولا بد، إما بخصوصه، وإما بالعموم والإطلاق، ومن التأمل السياق لم يجد الآيتين تحتملان غير إرادة ذلك خصوصا أو عموما.[2]

وهكذا فإن مراعاة السياق أمر مهم في فهم المعنى المراد، وكما هي مطلوبة في بيان الجمل والتراكيب، فهي مطلوبة أيضا في بيان المفردات والألفاظ.

قال ابن جرير الطبري:

"فغير جائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرّسول تقوم به حجة."[3]

وقال الشيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية."[4]

وقال ابن قيم الجوزية: "السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[5] كيف تجد سياقه يدلّ على أنّه الذليل الحقير.[6]

---

[1] سورة المطففين، الآية 35.

[2] ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، المرجع السابق، ج5، ص 156.

[3] محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المرجع السابق، ج2، ص 32.

[4] شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، مجموع فتاوى، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، السعودية، ط2، 1398، ج2، ص 14.

[5] سورة الدخان، الآية 49.

[6] محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار الكتاب العربي، الرياض، بيروت، ط5، 1440هـ، ج4، ص 09.

وقال بدر الدّين الزركشي: "ليكن محط نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"[1] وقد أثنى على الراغب الأصفهاني في كتابه –مفردات القرآن- لاهتمامه بهذا الجانب، فقال عند حديثه عن القسم الذي لم يرد تفسيره نفلا عمن يعتبر تفسيره.

وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب – المفردات- فيذكر قيدا زائدا على أصل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السّياق.

وقال عند حديثه عن كتب غريب القرآن: "ومن أحسنها كتاب 'المفردات' للراغب وهو يتصيّد المعاني من السّياق، لأن مدلولات الألفاظ خاصة."[2]

8.النظر في مجموع الآيات ذات الموضوع الواحد قبل البدء في تفسيرها:

إنّ على المفسّر أن يستحضر الآيات ذات الموضوع الواحد ويدرسها مجتمعة، ويحدد دلالات الألفاظ القرآنية من خلال نظرة عامة جامعة، ذلك أن قطع الآية مثيلاتها أو نظريتها يوقع في الغلط في التفسير.

لذا لا بد أن يقوم المفسّر بتتبع الآيات التي تناولت موضوعا ما من كل القرآن، ثم يفسّر الآية محل بحثه، وهذا ما عرف لدى المفسّرين بتفسير القرآن بالقرآن.[3]

9. مراعاة الربط بين الآيات وخواتيمها:

إنّ خواتم الآيات مرتبطة بما جاءت به، وتدل على المراد بها.

والمتتبع للآيات وما ختمت به يجد بينها ارتباطا وتناسبا واضحا، وهذا يدل على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسماء الله وصفاته ومرتبط بها،

---

[1] البدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 172.

[2] بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق، ج1، ص 251.

[3] مصطفى مسلم، مباحث في تفسير الموضوعي، المرجع السابق، ص 102.

ولهذا نجد أنّ آية الرحمة مختومة بصفات الرحمة، وآية العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر.[1]

لذا على المفسّر أن يراعي الصلة والمناسبة بين موضوع الآية وما تتحدث عنه وبين خاتمتها.

قال الزركشي متحدثا عن ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام: "التمكين: وهو أن تمهد قبلها –أي الفاصلة- تمهيدا تأتي به غير نافذة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تامّا، بحيث لو طُرحت اختل المعنى واضطرب الفهم.

وهذا الباب يُطلعك على سر عظيم من أسرار القرآن، فاشدد يديك به."[2] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**إِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[4] حيث ختمنا باسمين كريمين هما: السميع والعليم، فالتعقيب بهما دلّ على أن الاستعاذة باللّسان فقط لا تكفي في دفع نزغ الشيطان، بل لا بد من تواطأ القلب مع اللّسان، لأن الله تعالى هو السميع لما تذكر بلسانك، العليم لما تضمر في قلبك. قال الفخر الرازي عنده تفسيره للآية الأولى: "قوله: ﴿**إنه سميع عليم**﴾ يدل على أن الاستعاذة باللّسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى قال: اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك، وفي الحقيقة القول اللّساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر."[5]

10. حمل كلام الله تعالى على الحقيقة:

---

[1] بن ناصر السعدي، انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، المرجع السابق، ص 59.
[2] البرهان في علوم القرآن، ج1، المرجع السابق، ص 79.
[3] سورة الأعراف، الآية 200.
[4] سورة فصلت، الآية 36.
[5] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت، ط1، 1401هـ، ج15، ص 102.

يجب على المفسّر أن يحمل نصوص القرآن الكريم على حقيقتها، وأن لا يعدل عنها وله فيها محمل صحيح، وذلك بناء على أن الأصل في الكلام حمله على الحقيقة.

قال ابن عبد البر: وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم على الحقيقة أولى بذوي الدين والحق، لأنه يقص الحق، وقوله حق تبارك وتعالى علوا كبيرا.[1]

وحكى الفخر الرازي إجماع العلماء على عدم جواز صرف الكلام عن الحقيقة فقال: وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة.[2]

وذكر ابن القيم أنه لا يجوز صرف الكلام عن حقيقته إلا إذا توفر له أربعة أمور، فقال: من ادعى صرف لفظ عن ظاهرة إلى مجازه لم يتم ذاك إلا بعد أربعة مقامات: أحدهما: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه، وإلا كان مفتريا على اللغة.

الثالث: بيان تعيين ذلك المجمل إن كان له عدة مجازات.

الرابع: الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

فما لم يقم بهذه الأمور الأربعة كانت دعواه صرف اللفظ عن ظاهرة دعوى باطلة.[3]

وإن صرف الكلام عن حقيقته قد اتخذ وسيلة للتأويل والانحراف في تفسير كلام الله تعالى، وبخاصة ما يتعلق بآيات الصفات والغيبيات، فكثر المأولون الذين اعتدوا على النصوص الشرعية فحملوها على غير ظاهرها، لتتمشى مع معتقداتهم الفاسدة، واتجاهاتهم الضالة.

---

[1] أبو عمر بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: سعيد أحمد أعراب، 1396هـ، ج5، ص 153.

[2] مفاتيح الغيب، المرجع السابق، ص 94.

[3] ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج4، المرجع السابق، ص 205.

قال ابن جرير الطبري وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إجماع من الأمة، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه.[1]

11. معرفة المشكل في القرآن:

يقصد بالمشكل: ما أشكل فهمه على الناس، وسمي بذلك لأنه شكل غيره فأشبهه وشاكله.[2]

وقد يسميه البعض ب: موهم الاختلاف والتعارض بين الآيات.[3]

ولا شك أن القرآن منزه عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾[4] ولكن قد يقع النظر ابتداء ما يظنه اختلافا بين الآيات وهو ليس كذلك، لذا وجب على المفسّر أن يطيل النظر في الآيات، ويتعرف على المواضع التي أشكل فهمها على الناس، وعلى ما قد يظن أن فيها تعارضا.

قال الشيخ السّعدي: "الآيات القرآنية التي يفهم منها قصار النظر التعارض: يجب حمل كل نوع منها على ما يليق ويناسب المقام كل بحسبه" ثم ضرب أمثلة لذلك.[5]

إنّ على المفسّر أن يفهم ويقرر ابتداء بأنه لا تعارض بين آيات القرآن الكريم، وما قد يظن أنه من ذلك فإنه ناتج عن سوء فهم وعجلة في الحكم، وتفسير للقرآن على غير أصوله.

حكى الزركشي عن القاضي أبي بكر في التقريب قوله: لا يجوز تعارض أي القرآن، والآثار، وما توجيه الأدلة العقل، فلذلك لم يجعل قوله تعالى:

---

[1] محمد ابن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج4، المرجع السابق، ص 124.

[2] انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ ، ص 102.

[3] جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

[4] سورة النساء، الآية 86.

[5] بن ناصر السّعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن، المرجع السابق، ص 27.

﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[1] معارضا لقوله: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[2] لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالى فيتعين تأويل ما عارضه، فيؤول قوله: ﴿**وَتَخْلُقُونَ**﴾ بمعنى (تكذبون) لأن الإفك نوع من الكذب وقوله: ﴿**وإذا تخلق من الطين**﴾ أي تصور.[3]

ويفيد في معرفة هذا الموضوع ما خلفه لنا العلماء من مؤلفات خاصة في هذا النوع مثل:

1) الرّد على الملحدين في متشابه القرآن، لقطرب محمد المستنير المتوفي سنة 206هـ.
2) توضيح المشكل في القرآن الكريم، لسعيد بن محمد العساني بن الحداد المتوفي سنة 302هـ.
3) البرهان في مشكلات القرآن، لأبي المعالي عزيري بن عبد الملك المعروف ب-شيذلة- المتوفي سنة 494هـ.
4) تيجان التبيان في مشكلات القرآن، لمحمد أمين بن خير الله الخطيب العمري المتوفي سنة 1203هـ.

كما ضمنه آخرون مؤلفاتهم في علوم القرآن:

كالزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله المتوفي سنة 794هـ في كابه البرهان في العلوم القرآن حيث ذكره في نوع الخامس والثلاثين.[4]

[1] سورة الزمر، الآية 62.
[2] سورة العنكبوت، الآية 17.
[3] بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، المرجع السابق، ص 51.
[4] المرجع نفسه، ص 45-67.

والسيوطي جلال الدين عبد الرحمن المتوفي سنة 911هـ في كتابه الاتقان في علوم القرآن حيث ذكره في النوع الثامن والأربعين.[1] وفي كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن في وجه السابع من وجوه إعجاز القرآن.[2]

12. معرفة الأمور التي يندفع بها الإشكال عن التفسير:

قد يحصل إشكال عند تفسير آية من كتاب الله تعالى، وبالتالي فلا بد من معرفة الأمور التي تدفع هذا الإشكال وتزيله وهي سبعة أمور ذكرها الزركشي في البرهان وهي على النحو التالي:

1) رد الكلمة لضدها:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾[3] أي ولا كفورا وطريقة ذلك أن يرد النهي لضده وهو: الأمر فيكون المعنى: أطع منهم آثما أو كفورا، أي: أطلع أحدهما. وعلى هذا يكون معناه في النهي: ولا تطع واحدا منهما.

2) رد الكلمة إلى نظيرها:

ومثاله في قوله تعالى: ﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾[4] فإنّ الرقبة هنا مطلقة ولو تتبعنا نظائر ذلك في القرآن لوجدنا أنها قيدت بالإيمان.

---

[1] جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1354هـ، ج3، ص 88-100.

[2] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ج1، ص 94.

[3] سورة الإنسان، الآية 24.

[4] سورة النساء، الآية 92.

3) النظر فيما يتصل بالآية من خبر، أو شرط، أو ايضاح في معنى آخر:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ**﴾[1] فإن معنى الآية بهذا القدر قد يشكل ويتضح المعنى المطلوب وهو قول ﴿**مِنَ الْفَجْرِ**﴾ .

4) دلالة السياق: حيث يرشد إلى القطع بعدم احتمال غير المراد ومثاله قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾[2] **إذ** سياق الآية يدل على أنه الذليل الحقير.

5) ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي: وذلك أنه قد يستعار الشيء لمشابهه، ثم يستعار من المشابه لمشابه المشابه، ويتباعد عن المسمى الحقيقي بدرجات، فيذهب عن الذهن الجهة المسوّغة لنقله من الأول إلى الآخر وطريق معرفة ذلك بتدريج.

6) معرفة سبب النزول: فإن معرفة سبب نول الآية يزيل الإشكال عنها ويوضح المراد منها. قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾[3]، فالظاهر لفظها لا يقتضي أنّ السعي فرض، لأنّ رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب، وهذا ما فهمه عروة بن الزبير في بادئ الأمر، بينت له عائشة رضي الله عنها أن نفي الجناح ليس نفي للفريضة بما ورد في سبب نزولها.[4]

7) السلامة من التدافع: ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾[5] إذ تحتمل معنيين:

---

[1] سورة البقرة، الآية 187.
[2] سورة الدخان، الآية 49.
[3] سورة البقرة، الآية 158.
[4] أنظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، دط، 1979م، ج5، ص 153.
[5] سورة التوبة، الآية 122.

الأول: أن الطوائف لا تنفر من أماكنها وبواديها جملة بل بعضهم ينفر لتحصيل التفقه بوفودهم على الرّسول صلى الله عليه وسلم وإذا رجعوا إلى قومهم أعلموهم بما حصل لهم.

الثاني: أن يكون مراد بالفئة النافرة هي من تسير مع رسول الله في مغازية وسراياه، والمعنى: ما كان لهم أن ينفروا أجمعين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازية، لتحصيل مصالح متعلقة بالبقاء من يبقى في المدينة.

والفئة النافرة مع رسول الله تتفقه في الدّين بسبب ما يؤمرون به ويسمعون منه. فإذا رجعوا إلى من بقي المدينة أعلموهم بما حصل لهم في صحبة الرّسول من العلم.

والأقرب من هذين الاحتمالين هو الأول، لأن الاحتمال الثاني يخالفه ظاهر الآية ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ**﴾[1] ، فإنّ ذلك يقتضي إمّا طلب الجميع بالنفير أو إباحته، وذلك في ظاهره يخالف النهي عن نفر الجميع وإذا تعارض محملان يلزم من أحدهما معارضته، ولا يلزم من الآخر، فالثاني أولى.[2]

13. فهم حقيقة الخلاف في تفسير القرآن بين السلف:

يجب على المفسّر أن يفهم ما يحكيه المصنفون في التفسير من أقوال في معنى الآية، والهدف من ذلك.

فأكثر الأقوال التي نقلت إلينا –وبخاصة ما ورد عن الصحابة والتابعين- تسير في الاتجاه الواحد لاستيعاب معنى الآية فإذا فسّرها أحدهم بنوع فسّرها الآخر بنوع آخر، فكل واحد عبّر عن معنى في الآية بنوع غير النوع الذي ذكره الآخر، وهذا ما يسمى لدى العلماء ب"اختلاف التنوع".

وفضل الكلام في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال "الخلاف بين السّلف في تفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح

---

[1] سورة التوبة، الآية 120.

[2] أنظر: البرهان في علوم القرآن، المرجع السابق، ج2، ص 199-204.

عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد."[1] وقال عند بيانه لتفسير القرآن بأقوال التابعين فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا، فيحكمها أقوالا وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينصّ على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليحتفظن اللبيب لذلك والله الهادي.[2]

14. معرفة الكليات والأفراد في القرآن الكريم:

يقصد بالكليات: الألفاظ أو الأساليب الواردة في القرآن الكريم على معنى مطرد.

أمّا الأفراد فيقصد بها الألفاظ أو الأساليب التي أتت في القرآن الكريم بمعنى مفرد غير المعنى الذي تستعمل فيه عادة.

ومثال ذلك: ما قاله ابن فارس: كل ما في القرآن من ذكر "البروج" فإنها الكواكب. كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾[3] إلا التي في سورة النساء ﴿**وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾[4] فإنها القصار الطوال، المرتفعة السّماء الحصينة.[5]

فإنّ المعنى الأول عام في كلّ القرآن، والمعنى الذي في سورة النساء فرد خاص بهذا الموضع.

ألوان التفسير الموضوعي:

تباينت آراء العلماء في تحديد ألوان التفسير الموضوعي وأنواعه فقد ذهب الشيخ محمد السماحي ذكر طريقتين للبحث في التفسير الموضوعي وارتضى الثانية منها.

---

[1] شيخ الإسلام ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، ط1، 1391هـ، ص 38.

[2] شيخ الإسلام ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، المرجع السابق، ص 104.

[3] سورة البروج، الآية 01.

[4] سورة النساء، الآية 87.

[5] بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 105-111.

الطريقة الأولى: أن نجمع الآيات الخاصة بموضوع واحد ثم ننظر فيها ونقارن بينها حتى يتبين المجمل ويخصص العام ويقيد المطلق ويوضح المشكل وبذلك نصل إلى معرفة الغاية منها. وعيب هذه الطريقة أن القرآن نزل نجوما على حسب الوقائع وعلى حسب فهم المعاصرين له وفق التربية الحكيمة. فكان يأتي على أساليب شتى من البيان فقد يكون الحكم خاصّا ثم يعمم أو مقيّدا ثم يطلق فلو جرينا على هذه الطريقة لأدى بنا البحث إلى الخطأ في قصد القرآن الكريم. ثم ضرب بعض الأمثلة على ذلك من آيات الجهاد والربا.

الطريقة الثانية: أن تتبع الآيات في الموضوع الواحد على حسب نزولها وندرس كل نجم على هذه الأسباب والدواعي المحيطة به ثم لا تزال تتبع الآيات في كل موقف حتى نصل إلى آخر موقف من تلك الآيات، وبذلك نسير على منهج علمي واضح تتّضح فيه الحقائق العلمية في كل موقف وبضميمة المواقف بعضها إلى بعض نتبين الحقائق كاملة في الموضوع الواحد وهذا هو البحث العلمي الصحيح.[1] وبهذا يظهر أنّ الشيخ السماحي –رحمه الله- يرى أنّ التفسير الموضوعي يختص بدراسة الموضوع القرآني فقط وعرض من خلاله لموضوع (الألوهية) و(الرسالة) وما يتعلق بها من أدلة وشبهات.[2]

ثم جاء الأستاذ محمد باقر الأبطحي الذي يرى –كما يبدو- أنّ التفسير الموضوعي يقوم على تناول الموضوعي القرآني الواحد، ولذلك بيّن في المقدمة أسلوب كتابه بقوله "وضع كتاب يكون مدخلا للتفسير وفرقانا يجمع الآيات الباحثة عن الموضوع الخاص بحيث تكون الآيات مستوعبة لما يحتاجه الموضوع من المباحث والمطالب ومرتبة بحسب ما يقتضيه التسلسل الطبيعي للموضوع.[3]

---

[1] السماحي الشيخ محمد محمد، مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا، قسم علوم الشريعة والقانون، كلية أصول الدين الأزهر، درست هذه الكراسة في فترة السّتينات من القرن الماضي، ص 01-03.

[2] المرجع نفسه، ص 05.

[3] الأبطحي محمد باقر الموحد، المدخل إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1969، ص 05.

وبعد ذلك جاءت رائعة محمد حجازي حول الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والتي كانت في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه لجامعة الأزهر عام 1967 والتي كانت أصلا لكل من كتب في التفسير الموضوعي في القرآن كله أو في السورة الواحدة بعد ذلك حيث عرف فيها الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بأنها: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوعية في القرآن.[1] وكان من دعامات رسالته أن ينظر إلى السورة القرآنية ككل مع بيان أغراضها العامة والخاصة مع بيان ربط الموضوعات ببعضها بعضا حتى تبدو السورة وهي في منتهى الدقة والإحكام. فالسورة الواحدة مهما تعددت قضاياها تهدف إلى غرض واحد تسعى لإتمامه،[2] وبذلك أشار إلى لونين هامّين من ألوان التفسير الموضوعي عُرفا فيما بعد وهما الموضوع القرآني والوحدة القرآنية في السورة الواحدة. ثم يأتي الأستاذ الدكتور السيّد الكومي في كتابه "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" والذي يقول عنه فضل حسن عباس إنه أول من ألف كتابا يحمل اسم التفسير الموضوعي[3] على الرغم من أنّ الطبعة الأولى منه صدرت عام 1980م.

وقد سبقتها الطبعة الأولى من كتاب "البداية في التفسير الموضوعي" للدكتور عبد الحي الفرماوي عام 1976م، رغم أنّ الفرماوي قد أشار إلى اقتباسه من الكومي في أكثر من موضوع من كتابه.[4] وعدّه أحد مصادر كتابه.[5] ممّا يوحي بأنّ كتاب الكومي قد طبع متأخرا عن بداية ظهوره والشيخ الكومي – رحمه الله- قد جعل التفسير الموضوعي في لونين أو طريقتين.[6]

1. التفسير الموضوعي للسورة القرآنية أو الوحدة الموضوعية في السورة.

[1] حجازي محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1970، ص 33-34.

[2] الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، المرجع نفسه، ص 24.

[3] عباس فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، دار النفائس، عمان، ط1، 2005م، ص 654.

[4] عبد الحي الفرماوي، مقدمة في التفسير الموضوعي، ددن، مصر، ط2، 1977، ص 24-44-46-67-68-71.

[5] المرجع نفسه، ص 76.

[6] أحمد السيد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار الهدى للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1402هـ/1982م، ص 22.

2. **التفسير الموضوعي للموضوع القرآني:** وقال عنها الطريقة الثانية هي المعمول بها في مجالات البحوث العلمية الموضوعية، وإذا أطلقت كلمة (تفسير موضوعي) فلا يفهم منها إلا بحث موضوع من موضوعات القرآن الكريم على مستوى القرآن جميعه.[1] وقد سار على ذات التقسيم الدكتور الفرماوي إلا أنه عندما عرّف التفسير الموضوعي بعدها عرّفه بحسب الموضوع القرآني وليس بحسب الوحدة الموضوعية[2] ممّا يؤكد أنه يرى التفسير الموضوعي هو الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، وسار على ذات النهج الدكتور زاهر الألمعي.[3]

وأمّا الدكتور عبد الستار فتح الله فيرى أن التفسير الموضوعي نوعان:

1. التفسير الموضوعي العام: وهو الذي يبين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط وليس في أصل المعنى، مثل تفاسير آيات الأحكام فموضوعها الأحكام القرآنية.
2. التفسير الموضوعي الخاص: وهو الذي يقوم على وحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينها خاصة وقريبة، مثال ذلك اليهود في ضوء القرآن.

ولم يعد فتح الله النوع الثاني المتعلق بالسورة القرآنية فقال: "وقد عدّ بعض العلماء في هذا النوع (الموضوعي العام) ما يسمى ب(الوحدة الموضوعية) ويقصد الشيخ الكومي والشيخ الفرماوي كما ذكر في حاشية الصفحة في القرآن كلّه أو سورة منه بأن يجعل المفسّر للسورة الكريمة هدفا ينتزعه من ملاحظة معاينها ثم ينزل الآيات المتعددة في السورة لتحقيق هذا الهدف، وأرى –والله أعلم- أنّ هذا الضرب من الدراسات لا يدخل في التفسير الموضوعي، لأن موضوعه وهو (هدف السورة) المتعددة الآيات أمر التماسي اجتهادي تختلف فيه الأنظار، فكيف تصنّف الآيات في السورة على هدف مختلف في تحديده؟ وكيف يقوم التفسير على الاحتمال؟ مع أن الأصل في التفسير الموضوعي أن يقوم على

[1] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المرجع نفسه، ص 23.
[2] عبد الحي الفرماوي، مقدمة في التفسير الموضوعي، المرجع السابق، ص 51-52.
[3] زاهر بن عواض الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المرجع السابق، ص 21-22.

أساس النصوص ذاتها، أو معانيها المتحققة[1] وليس من أهداف هذه الدراسة مناقشة فتح الله فيما ذهب، إليه لكن لا مندوحة من القول هنا إن الوحدة في الغاية أو الرابطة التي يراها فتح الله في نوعي التفسير اللّذين قررهما أمر اجتهادي أيضا تختلف فيه الأنظار، فآيات الأحكام ليست محل اتفاق عند الجصاص الحنفي والكيالهراسي الشافعي وابن العربي المالكي والقرطبي وغيرهم وإن اشتركوا في الكثير منها وكذلك لا يعقل أن يتفق كل الكاتبين في موضوع معين في وجهات نظرهم واستنتاجاتهم، فموضوع الألوهية في القرآن عرض له أكثر من مصنف في التفسير الموضوعي تباينت أساليبهم وميادينهم وبعض نتائجهم وإن اشتركوا في بعضها. وقد ذكر أحمد جمال العمري في كتابه "دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني" المنهجين المعروفين في التفسير الموضوعي، الوحدة الموضوعية في السورة، والوحدة الموضوعية في القرآن أو ما سمّاه بالمنهج التجميعي التكاملي للموضوع الواحد من القرآن.[2]

وإن لم يشر إلى الوحدة الموضوعية في السورة كأحد أركان تعريفه للتفسير الموضوعي عندما عرض له، وقصر الحسيني أبو فرحة بحثه في الوحدة الموضوعية في القرآن وعرض فيه لبعض موضوعات القرآن وهي ثمانية: الإلهيات والنبوات والسمعيات والعبادات والمعاملات ثم الأخلاق والمواعظ والقصص.[3] ويعد مصطفى مسلم رائدا في جعل دراسة المصطلح أو المفهوم القرآني أحد ألوان التفسير الموضوعي الثلاثة التي ذكرها.

حيث خصّص اللون الأول للمصطلح القرآني والثاني للموضوع القرآني والثالث للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.[4] لكنه حفظه الله لم يكن متحمسا كثيرا لفصل هذا اللّون عن الموضوع القرآني.

---

[1] سعيد عبد السّتار فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م، ص 24-25.

[2] أحمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م، ص 70-72.

[3] أبو فرحة الحسيني، الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي، مركز الحضارة العربية للإعلام، القاهرة، ط1، 1905م، ص 05.

[4] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط3، 1421هـ/2000م، ص 23-29.

وأمّا محمد إبراهيم الشافعي فقد وافق من سبقه في جعل التفسير الموضوعي قائما على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية أو ما يطلق عليه بالوحدة العضوية الأدبية وكذلك الوحدة الموضوعية في الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد بين خطوات المنهج في كل من اللونين[1] وكذلك فعل عبد الجليل عبد الرحيم.[2] ثم نقل صلاح الخالدي رأي مصطفى مسلم في ألوان التفسير الثلاثة: المصطلح والموضوع والوحدة الموضوعية في السورة وسار على هذا المنوال في تطبيقات كتابه[3]وأمّا أحمد رحماني في "مصادر التفسير الموضوعي" فقد اقتصر فيما يبدو على الحديث عن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وفي القرآن كلّه،[4] وأمّا أحمد فرحات عندما عرف التفسير الموضوعي فقد قصره على الموضوع القرآني إلا أنه قال بعد ذلك أنّ هذا يمكن أن يكون في السورة الواحدة باعتبارها تركز على موضوع واحد وأنه يمكن أن يدخل تحت التفسير الموضوعي الحديث عن كلمة واحدة أو صيغة واحدة وردت في أماكن متعددة من القرآن بحيث تشكل موضوعا واحدا.[5]

وأمّا فضل حسن عباس فقد ذكر الألوان الثلاثة للتفسير عند العلماء وإن رأى أنه يقتصر على الموضوع القرآني،[6] وأمّا زياد الدغامين فقد اقتصر على اللونين المشتهرين دون المصطلح القرآني لأنه يرى أنّ البحث في المصطلح القرآني بمثل حلقة من دراسة الموضوع القرآني.[7]

---

[1] الشافعي، محمد إبراهيم، المنهج التقويمي في التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم دراسة منهجية تطبيقية، دار البيان للطباعة والنشر، دب ن، دط، 1990م، ص 32.

[2] عبد الرحيم، عبد الجليل، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في كتفي الميزان، ددن، عمان، ط1، 1992، ص 30.

[3] الخالدي صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، عمان، ط2، 2008م، ص 59.

[4] رحماني أحمد، مصادر التفسير الموضوعي، مكتبة وهبة غابدين، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 26-55.

[5] فرحات أحمد حسن، في علوم القرآن ونقد وتحقيق، دار عمّار، عمان، ط1، 2001م، ص 269-270.

[6] عباس فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنْديس، عمان، ط1، 2005، ص 646-647.

[7] الدغامين بزياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص 71-72.

وبعد هذا الاستقراء لجل المصنفات في التفسير الموضوعي والتّعرف على آراء أصحابها في ألوان التفسير الموضوعي بينت هذه الدراسة أن هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية عند العلماء في ألوان التفسير الموضوعي:

الاتجاه الأول: يرى أنّ التفسير الموضوعي يراد به فقط دراسة الموضوع القرآني بتتبع الآيات التي عرضت له وفق منهجية علمية وضوابط خاصة، وأنّ هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي هو الذي يُراد عنه الإطلاق.

الاتجاه الثاني: وهو الغالب ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الوحدة الموضوعية كما تكون في القرآن كلّه فإنها تكون في السورة كذلك، فلكل سورة موضوعها الخاص ونظامها المميّز وشخصيتها البارزة، ومن المنتصرين للوحدة الموضوعية في كل سورة أو ما يسمى بنظام السورة محمد عبد الله دراز في "النبأ العظيم"، والعلّامة عبد الحميد الفراهي الهندي وسيد قطب وعبد المتعال الصعيدي في "النظم الفني في القرآن" وغيرهم.

الاتجاه الثالث: وأصحاب هذا الاتجاه يرون أنّ التفسير الموضوعي يشمل هذه الألوان الثلاثة.

أهمية التفسير الموضوعي:

للتفسير الموضوعي أهمية عظيمة واضحة في هذا العصر الذي تشعبت فيه الآراء وكثرت فيه المذاهب والأهواء وتشابكت في الأقطار والأمطار، لذا تبدو الحاجة الماسّة لهذا اللون من التفسير، ليحقق من الفوائد التي تعيد الإنسان إلى الهداية القرآن الكريم ومعالجة أي موضوع يجد على الساحة وممّا يوضح هذه الأهمية:

- أنّه تفسير للقرآن بالقرآن يفسّر بعضه البعض، ما أطلق في موضع قيد في آخر، وما أجمل في موضع فصل في مكان آخر، وهو أعلى أنواع التفسير، وقد وضع العلماء أنّ تفسير القرآن بالقرآن قاعدة مهمة في أصول التفسير.
- الوقوف على عظمة القرآن الكريم من خلال مواضيعه المختلفة وتشريعاته النيرة المتعددة، لأن جمع الآيات الكريمة جمعا موضوعيا مع التفسير والدراسة

المتأنية واستقصاء المعاني يبين عظمة هذا القرآن الكريم من حيث مواقفه وأحكامه وتشريعاته لحاجة البشرية في مختلف عصورها.

- إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، من المعلوم أنّ القرآن الكريم أعجز بنظمه وبلاغته ورصانة أسلوبه الأوليين والأخريين، ويشمل جميع الموضوعات المتكاثرة والمتنوعة والمتجددة، قال الراغب الأفهاني: "وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم المتضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبّه عليه بقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾."[1][2]
- إزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيها سليما عن طريق جمع الآيات المتناثر في القرآن الكريم ذات الموضوع الواحد والهدف الواحد ودراستها دراسة متكاملة تكشف عن أنّ آيات القرآن الكريم متوافقة متآلفة ليس بينها تعارض ولا اختلاف.
- إنّ تخصيص موضوع بالبحث والدراسة وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد الموحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ما ظاهره التعارض، كل ذلك يهيئ للموضوع جوا علما لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تثري معلومات حوله وتبلوره قضاياه وتبرز معالمه.
- عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.

فكلما جدّت على الساحة معطيات جديدة لتطور الفكر البشري، يعيشها المفسّر ويحيط بدقائقها وحقائقها ثم يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة ليستنطق النصوص الشريفة ويميط اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية.

---

[1] سورة لقمان، الآية 27.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1416هـ، ص 05.

- تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها: لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظا وافرا من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، إلاّ أن علوما جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم مثل "الإعجاز العلمي" فقد برز هذا العلم وكثرت الكتابات فيه إلا أنه يحتاج إلى ضبطه بقواعد علمية مستمدة من الهدايات القرآن الكريم لتجنب الإفراط والتفريط في إدخال الآيات مجال البحث والمتعلقة بالعلوم التجريبية من العلوم الفلك وطبيعة الإنسان.

وكذلك على علم "أصول التربية القرآنية" فبعد بروز المدارس الاجتماعية ومدارس علم النفس في الغرب وغزوها الأمم والشعوب، ومحاولة إقامة صرح التعليم والتربية حسب مناهجها.

إنّ كثيرا من العلوم تلعب دورا هاما في حياتنا المعاصرة، ولا زالت معالم هذه العلوم غير واضحة الصلة بهدايات القرآن، ولا يمكن أن نجد نصوصا محددة من القرآن الكريم أو السنة النبوية تناولتها، وإنما نستشف أصولها من خلال روح النصوص الكريمة وهدايات القرآن الكريم والسوابق القضائية والفقهية لسلف هذه الأمة، ولا وسيلة لوضع أسس هذه العلوم وبيان ضوابطها إلاّ من خلال التعامل مع الآيات الكريمة وفق منهج التفسير الموضوعي.[1]

وخلاصة القول في أهمية التفسير الموضوعي:

إنه كغيره من أنواع التفسير الأخرى التي تميزت بأنها أشرف العلوم وأصدقها لتعلقها بكلام الله تعالى، وأن في جمع الآيات المتفرقة والنظر فيها بطريقة مخصوصة تبرز كلّ الجوانب، وتظهر الأحكام وتبين وجوه الإعجاز المختلفة، وتوضح أنّ القرآن لا يخلق على كثرة الرد، فهو يتميز بصفة التجدد والاستمرارية والسعة التي لا تنفذ معها المعاني، بل يجد علماء كل عصر ما يظهر من متطلباته، ولهذا النوع من التفسير يكون الرد العلمي على شبهات المبشرين ومطاعن المستشرقين وشكوك الملحدين وأعداء الإسلام.

[1] مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، المرجع السابق، ص 22.

وممّا تقدم نعلم أنّ التفسير الموضوعي له أثر عظيم في إبراز الحلول لكل متطلبات العصر.

الفصل الثاني: تفسير آيات قرآنية

المبحث الأول: جداول إحصائية للمصطلحات القرآنية (الإيمان، الإسلام، الكفر، الشرك)

المبحث الثاني: نماذج من تفسير بعض الآيات القرآنية.

المبحث الثالث: الفرق بين الإيمان والإسلام.

المبحث الرابع: الفرق بين الشرك والكفر.

تمهيد:

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام وأنعم علينا بمنّة الإيمان، وصلواته وسلامه على النبي العدنان محمد عليه الصّلاة والسّلام.

لقد اخترنا كنموذج للتفسير الموضوعي حقلا من الألفاظ ذات العلاقة بالعقيدة الإسلامية واقتصرنا على أربعة منها مشهورة وهي: الإيمان، الإسلام، الشرك، والكفر، وهي الأكثر دورانا في القرآن الكريم. ومن أوّل مجالات الدعوة في القرآن الكريم التي خاطب الله بها خلقه وعباده دعوته إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى وحده، ونبذ الكفر والشرك والإعراض عن الخرافات والانحراف عن العقيدة الصحيحة بكل الأشكال والصور المخالفة للعقل والفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها ألا وهي فطرة التوحيد والإيمان بالله فإنّ سبب فساد الحياة البشرية كلّها هو الكفر والشرك، وسبب صلاح هذه الحياة هو الإيمان بالله عزّوجل لذلك قال الله تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ طه 123-124.

وخطتنا في هذا البحث أن نقوم بإحصاء الإيمان والإسلام والكفر والشرك وذكر صيغهم التي وردت بها متوسّلين بجداول إحصائية ثم يقوم بتعريف كلّ منهما لغويا فاصطلاحيا ونمضي إلى تتبع دلالتها في القرآن الكريم عبر التفاسير المشهورة على غرار تفسير عبد الرحمن بن ناصر السّعدي في تفسير كلام المنان والمختصر في تفسير القرآن الكريم، وتفسير ابن كثير وغيرهم.

ونخلص في الأخير إلى بيان دلالة كل منها مع عقد المقارنة والمقابلة.

جداول إحصائية للمصطلحات القرآنية (الإيمان، الإسلام، الكفر، الشرك)

لقد وردت كلمة الإيمان في القرآن الكريم 811 مرّة بصيغ مختلفة، أمّا كلمة الإسلام فوردت 81 مرّة تقريبا وهي كالآتي:

اللفظ القرآني	الصّيغ الفعلية			الصّيغ الاسمية	
	الماضي	المضارع	الأمر	اسم الفاعل	المصدر
الإيمان	آمن آمنت آمنّا آمنوا آمنتِ آمنتُمْ **ورد 342 مرّة**	يُؤْمِنُ يُؤْمِنون يُؤْمِنّ تُؤْمِنوا تُؤْمِنون نُؤْمِنُ يُؤْمِنوا **ورد 175 مرّة**	آمِنْ آمِن آمِنوا آمِنّ **ورد 19 مرّة**	مُؤْمن مُؤْمنان مُؤْمنين مُؤْمنون مُؤْمِنة مُؤْمِنات **ورد 230 مرّة**	إيمان الإيمانِ الإيمانُ **ورد 45 مرّة**
الإسلام	أسلم أسلما أسلموا أسلمت أسلمنا أسلمتم **ورد 25 مرّة**	يُسْلِمُ يُسْلِموا تسْليما تُسْلِمون يُسْلِمون تسْلِموا **ورد 18 مرّة**	أسْلِمْ أسْلِموا أسْلِمْن أسْلِما **ورد 12 مرّة**	مُسْلِم مُسْلِمين مُسْلِمون مُسْلِمة مُسْلِمات سالِم **ورد 20 مرّة**	إسلام **ورد 06 مرّات**

- لقد وردت لفظة الكفر في القرآن الكريم 504 مرّة بصيغ مختلفة وهي كالآتي:

اللفظ القرآني	الصّيغ الفعلية			الصّيغ الاسمية			
	الماضي	المضارع	الأمر	المصدر	مصدر سماعي	اسم فاعل	صيغة مبالغة
الكفر	كفروا كفر	يكفُرُ يكفُرون	واكفُروا	الكُفْر الكُفِر	يجحدُ	الكافرون كافرون	كفّار

	كفرتُمْ كفرنا كفرتُ **ورد 230 مرّة**	تكْفُر يكفروا أكِفرِن يكْفُرُو لأكْفرن نكْفُرُ تكْفُروا **ورد 57 مرّة**	**وردت مرتين**	للكُفْرِ بالكُفْرِ **ورد 35 مرّة**	**ورد 15 مرّة**	الكافرون كافرين **ورد 158 مرّة**	**ورد 7 مرّات**

- لقد وردت لفظة الشرك في القرآن الكريم 169 مرّة، وهي كالآتي:

اللّفظ القرآني	الصّيغ الفعلية		الصّيغ الاسمية			
	الماضي	المضارع	المصدر	الصفة المشبهة	اسم	اسم فاعل
الشّرك	أشرك أشركوا أشركتم **ورد 18 مرّة**	لا تشرك تشركوا يُشرك يُشركون تُشركون **ورد 52 مرّة**	الشِرك **ورد 5 مرات**	لا شريك شريك **وردت 3 مرات**	شُركاء شُركاءُ شركاءكم شركاؤنا **ورد 36 مرّة**	المُشركون مُشركين المشركين لمشركون مُشركون **ورد 51 مرّة**

نماذج من تفسير بعض الآيات القرآنية:

➢ تفسير الآيات المتعلقة بلفظة الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[1]

المخادعة أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا، ويبطن خلافه؛ لكي يتمكن من مقصوده ممّن يخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب لأن المخادع، إمّا أن ينتج خداعه ويحصل ما يريد، أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها، لأنّ الله تعالى لا يتضرر بخداعهم (شيئا)، وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم وحفنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.[2]

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[3]

وما ينبغي لنفس أن تؤمن من تلقاء نفسها إلا أن يأذن الله، فلا يقع إيمان إلاّ بمشيئته، فلا تذهب نفسك حسرات عليهم، ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يدركون عنه حججه وأوامره ونواهيه.[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 09.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، السعودية، ط2، 1422هـ، ج1، ص 31.

[3] سورة يونس، الآية 100.

[4] جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط3، 1436هـ، ص22.

قال الله تعالى: ﴿**وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[1]

﴿**وَيْلَكَ آمِنْ**﴾ أي يبذلان غاية جهدهما وسعيان في هدايته أشد السعي، حتى إنهما من حرصهما عليه أنهما يستغيثان الله له، استغاثة الغريق، ويسألانه سؤال الشريق، ويعذلان ولدهما، ويتوجعان له، ويبينان له الحق، فيقولان ﴿**إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾ ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما. وولدهما لا يزداد إلا عتوا ونفورا، واستكبارا عن الحق، وقدحا فيه، ﴿**فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ أي: إلاّ منقول من كتب المتقدمين، ليس من عند الله، ولا أوحاه الله إلى رسوله. وكل أحد يعلم أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أُمِيٌّ لا يكتب ولا يقرأ، ولا تعلّم من أحد، فمن أين يتعلّمه وأنّى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.[2]

قال الله تعالى: ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.[3]

لا تجد أيها الرّسول قوما يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله ولو كان هؤلاء أعداء الله ورسوله آبائهم، أو كانوا أبنائهم، أو كانوا إخوانهم، أو عشيرتهم التي ينتمون إليها، لأن الإيمان يمنه من موالاة أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مقدمة عليها عند التعارض أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله ولو كانوا أقرباء، هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغيّر، وقواهم ببرهان منه ونور، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها

[1] سورة الأحقاف، الآية 17.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 922.

[3] سورة المجادلة، الآية 22.

الأنهار، ماكثين فيها أبدا، لاينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبدا ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفذ ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمتثلون ما أمر به، ويكفّون عمّا نهي عنه، إلاّ إنّ جند الله هو الفائزون بما ينالون من مطلوبهم وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.[1]

قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾.[2]

﴿**وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ**﴾ استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير والحسن والربيع بن أنس وغيرهم، قيل بل المراد بذلك المشركون من عبدة الأوثان، فأمّا ما رواه ابن جرير عن عدم بن إيّاس العسقلاني، قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء، إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات وحرم كل ذات دين غير الإسلام، قال الله عزّوجل: ﴿**وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ، وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تنكحوا النّساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوهن على أموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، وانكحوهن على الدّين، وقد ثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "تنكح المرأة لأربع: "لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها" فأظفر بذات الدّين تربت يداك." وقوله: ﴿ **وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا**﴾ أي: لا تزوجوا الرّجال المشركين النّساء المؤمنات، ثم قال الله تعالى: ﴿**وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**﴾ أي: ولرجل مؤمن، ولو كان عبدا حبشيا خير من مشرك، وإن كان رئيسا سريا

[1] جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 545.
[2] سورة البقرة، الآية 221.

"أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" أي: معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدّنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة **"وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ"** أي بشرعه وما أمر به وما نهى عنه **"وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ".**[1]

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ**﴾[2]

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا**﴾ وما أذن الله لمؤمن ولا أباح له أن يقتل مؤمنا يقول: ما كان ذلك له فبما جعل له ربّه وأذن له فيه من الأشياء البتة، وأمّا قوله **"إِلَّا خَطَـًٔا"** فإن يقول إلاّ المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ، وليس له ممّا جعل له ربّه فأباحه له وهذا من الاستثناء الذي يسميه أهل العربية والاستثناء المنقطع.

وأمّا "الرقبة المؤمنة" فإن أهل العلم مختلفون في صيغتها فقال بعضهم: لا تكون الرقبة مؤمنة حتى تكون قد اختارت الإيمان بعد بلوغها وصلّت وصامت ولا يستحق الطفل هذه الّفة. وقال آخرون: إذا كان مولودا بين أبوين مسلمين فهو مؤمن وإن كان طفلا وأوّلى القولين بالواب في ذلك، وأمّا **"الدّية المُسَلَّمَةُ"** إلى أهل القتيل، فهي المدفوعة إليهم، على ما وجب لهم، موفرة غير منتقصة حقوق أهلها منها.

وأمّا قوله: **"إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟"** فإنه يعني به إلاّ أن يتصدقوا بالدّية على القال أو على عاقلته، فأدغمت "التاء" من قوله: "يتصدوا" في "الصاد" فصارت "صادا".[3]

---

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، ص 275.

[2] سورة النساء، الآية 92.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: بشار عواد، عصام فارس الحرشاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1410هـ، ج2، ص 526.

♦ تفسير الآيات المتعلقة بلفظة الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[1]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ ومعنى **"الدِّينَ"** في هذا الموضع: الطاعة والذّلة. وكذلك **"الْإِسْلَامُ"** وهو الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه **"أسلم"** بمعنى دخل في السلم، كما يقول **"أقحط القوم"** إذا دخلوا في القحط، **"وأربعوا"** إذا دخلوا في الربيع، فكذلك **"أسلموا"** إذ دخلوا في السلم وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة.

القول في تأويل قوله: ﴿**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: وما اختلف الّذين أوتوا الإنجيل، وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم.

قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾، يعني بذلك ومن يجحد حجج الله وأعلامه التي نصبها ذكرى لمن عقل، وأدلة لمن اعتبر وتذكّر، فإنّ الله محص عليه أعماله، التي كان يعملها في الدنيا فمجازيه بها في الآخرة، فإنه جلّ ثناؤه **(سَرِيعُ الْحِسَابِ)** يعني سريع الإحصاء وإنما معنى ذلك أنه حافظ على كلّ عامل عمله، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده خلقه بأكفهم، أو يعونه بقلوبهم، ولكنه يحفظ ذلك عليهم، لغير كلفة ولا مؤونة ولا معاناة بما يعانيه غيره من الحساب.[2]

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[3]

---

[1] سورة آل عمران، الآية، 19.
[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المرجع السابق، ص 232.
[3] سورة آل عمران، الآية 85.

أي من يدين الله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله إخلاصا وانقيادا لرسله، فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوبه وكلّ دين سواه فباطل.[1]

قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2]

فقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، اليوم أكملت لكم، أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي وأمري، إياكم ونهيي وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي. وقال آخرون: معنى ذلك ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ حجّكم، فأفردتم بالبلد الحرام تحجّونه. والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ يعني بإظهاركم عدّوي وعدوّكم من المشركين، ونفيي إياهم عن بلادكم، وقطعي طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك، ﴿**وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ يعني بذلك جلّ ثناؤه رضيت لكم الاستسلام لأمري والانقياد لطاعتي **"دينا"** يعني بذلك طاعة منكم لي ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ**﴾ يعني فمن أصابه ضرّ في مخمصة يعني في مجاعة، وأمّا ﴿**المُتَجَانِفِ لِّلِإِثْمٍ**﴾ فإنه المتمايل له، المنحرف إليه وهو في هذا الموضع مراد به، المتعمد له، القاصد إليه، ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ فإن معناه؛ فإن الله لمن أكل ما حرمت عليه هذه الآية أكله في مخمصة، غير متجانف لإثم، بقول: بشر له عن أكله ما أكل من ذلك بعفوه.[3]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 144.

[2] سورة المائدة، الآية 03.

[3] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، المرجع السابق، ص 19-20.

قال الله تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]

يقول تعالى مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله إن من انشرح صدره للإسلام، أي اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان وحيّي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه وأحب الخير وطوعت له نفسه فعله متلذذا به غير مستقل، فإن هذا علامة على أنّ الله قد هداه ومنّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق.

وإنّ علامة من يرد الله أن يضلّه، أنه يجعل صدره ضيقا حرجا أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السّماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السّماء الذي لا حيلة له فيه.[2]

قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[3]

أفمن شرح الله صدره للإسلام فاهتدى إليه فهو على بصيرة من ربّه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله لا يستويان أبدا فالنجاة للمهتدين والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله أولئك في ضلال واضح عن الحق، ﴿**فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ أي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره وأقبل على كلّ ما يضره.[4]

---

[1] سورة الأنعام، الآية 125.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 304.

[3] سورة الزمر، الآية 22.

[4] جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 461.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بهذا وغيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته لأنه ﴿يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ ويبين له ببراهينه وبيناته.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين لا تردهم عنه موعظة ولا يجزهم بيان ولا برهان.[2]

يعني لا أحد أشد ظلما ممن اختلف على الله الكذب حيث جعل له أندادا يعبدهم من دونه وهو يُدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم.[3]

- **تفسير الآيات المتعلقة بلفظة الكفر:**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[4]

يخبر الله تعالى أنّ من كفر بعد إيمانه، ثم ازداد كفرا إلى كفره بتماديه في الغيّ والضّلال واستمراره على ترك الرشد والهدى، أنه لا تقبل توبتهم، أي لا يوفقون لتوبة تقبل، بل يهدهم الله تعالى في طغيانهم يعمهون، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، فالسّيئات ينتج بعضها بعضا وخصوصا لمن أقدم على الكفر العظيم وترك الصّراط المستقيم. وقامت عليه الحجة ووضع الله له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعى في قطع الأسباب رحمة ربه عنه وهو الذي سّد على نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف فقال: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾ وأي ضلال

---

[1] سورة الصف، الآية 07.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 1013.

[3] جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 552.

[4] سورة آل عمران، الآية 90.

أعظم من ضلال ما ترك طريق عن بصيرة، وهؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى الممات تعين هلاكهم وشقاؤهم الأبدي ولا ينفعهم شيء، فلو أنفق أحدهم ملّ الأرض ذهبا ليفتدي من عذاب الله ما نفعه في ذلك، بل لا يزالون في عذاب أليم، لا شافع لهم ولا ناصر ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كلّ خير، وجزموا على الخلود الدائم في العقاب والسخط فعياذا بالله من حالهم.[1]

قال الله تعالى: ﴿**أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**﴾[2] أي أفلا تتعجب في حالة هذا الكافر الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتي في الآخرة مالا وولدا، أي يكون من أهل الجنة، هذا من أحب الأمور فلو كان مؤمنا بالله وداعي هذه الدعوة لسهل الأمر.

وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين فإنها تشمل كل كافر زعم أنه على حق، وأنه من أهل الجنة.[3]

قال الله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۦ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾[4]

﴿**مَن كَفَرَ**﴾ منهم ﴿**فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ**﴾ ويعاقب هو بنفسه، لا تزر وازرة وزر الأخرى ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا**﴾ من الحقوق التي لله، والتي للعباد الواجبة والمستحبة فلأنفسهم لا لغيرهم ﴿**يَمْهَدُونَ**﴾ أي يهيئون، ولأنفسهم يعمرون آخرتهم ويستعدون للفوز بمنازلها وغرفتها، ومع ذلك جزائهم ليس مقصورا على أعمالهم، بل يجزيهم الله من فضله الممدود وكرمه غير المحدود مالا تبلغه من أعمالهم وذلك لأنهم أحبهم، وإذا أحب الله عبدا صبّ عليه الإحسان صبّا، وأجزل له عطاه الفاخرة، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.[5]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج3، المرجع السابق، ص 144.

[2] سورة مريم، الآية 77.

[3] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج3، المرجع السابق، ص 581.

[4] سورة الروم، الآية 44.

[5] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج1-2، المرجع السابق، ص

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[1]

يخبر الله تعالى أنّ الذين كفروا، أي اتصفوا بالكفر وانصبغوا به وصار واضحا لهم لازما، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجح فيهم وعظ إنهم مستمرون على كفرهم سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنظرهم لا يؤمنون وحقيقة الكفر هو الجحود لما جاء به الرّسول، أو جحد به بعضهم فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة عليهم وكأن في هذا قطعا لطمع الرّسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم وأنّك لا تأتي عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات.[2]

قال الله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[3]

﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ أي طردوا وأبعدوا عن رحمة الله ﴿**عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ أي بشهادتهما وإقرارهما بأنّ الحجة قد قامت عليهم وعاندوا ذلك "الكفر واللّعن" ﴿**بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ أي بعصيانهم لله وظلمهم لعباد الله، صار سببا لكفرهم، وبعدهم عن رحمة الله فإنّ للذنوب والظلم لعقوبات.[4]

---

[1] سورة البقرة، الآية 06.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج1، المرجع السابق، ص 31.

[3] سورة المائدة الآية، 78.

[4] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج6، المرجع السابق، ص 266.

- **تفسير الآيات المتعلقة بلفظة الشرك:**

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[1]

يقول الله تعالى مخبرا وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون، واسلم ابنه: تاران في قول حكاه السهيلي، وقد ذكره الله تعالى بأحسن ذكر، فإنه أتته الحكمة وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، ثم قال محذرا له ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ أي هو أعظم ظلم، قال البخاري رضي الله عنه: قال: لما نزلت ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾[2] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه لبس بذاك، ألاّ تسمع إلى قول لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، ورواه مسلم من حديث الأعمش.[3]

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾[4]

يقول الله تعالى معجزا لآلهة المشركين، ومبينا نقصها، وبطلان شركهم من جميع الوجه ﴿**قُلْ**﴾ يا أيّها الرّسول لهم ﴿**أَرَأَيْتُمْ**﴾ أي أخبروني عن شركائكم ﴿**الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**) هل هم مستحقون للدعاء والعبادة ف ﴿**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ**﴾ هل خلقوا جمادا؟ سيقرون أنّ الخالق لجميع الأشياء، وهو الله تعالى، أم لشركائكم شركة ﴿**فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ في خلقها وتدبيرها سيقول: ليس لهم

[1] سورة لقمان، الآية 13.
[2] سورة الأنعام، الآية 82.
[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 1462.
[4] سورة فاطر، الآية 40.

شركة فإن لم يخلقوا شيئا، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم، ودعوتموهم مع إقراركم بعجزكم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم.

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي والنقلي، قد دلاّ على بدلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة؟ أجاب تعالى بقوله: ﴿**بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾ أي: ذلك الذي مشوا عليه ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضّال وأماني منّاها الشيطان، وزيّن لهم "سوء" أعمالهم فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها فعسر زوالها، وتعسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل.[1]

قال الله تعالى: ﴿**لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[2]

﴿**لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾ في ذلك جمعا وتفصيلا ﴿**وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ**﴾ أي: أمرت أن لا أرى غيره في عين الجمع ولا في صورة التفاصيل حتى أعمل له كما وصفني تعالى بقوله: ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾[3] فهو الآمر والمأمور، والرائي والمرئي وَأَنَا ﴿**أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ المناقدين للفناء فيه بإسلام وجهي له باعتبار الرتبة في التفاصيل الذات وإلاّ فلا أول ولا آخر مسلم ولا كافر.[4]

قال الله تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾[5] نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً**﴾ أي قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين، ولا تخصوا أحدا منهم

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج22، المرجع السابق، ص 811.

[2] سورة الأنعام، الآية 163.

[3] سورة النجم، الآية 17.

[4] محي الدين محمد بن علي ابن عربي، تفسير ابن عربي، تح: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ص 250.

[5] سورة التوبة، الآية 36.

بالقتال ودون أحد، بل اجعلوهم كلّهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئا.

ويحتمل أنّ **"كَافَّةً"** حال من الواو فيكون معنى هذا وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين، وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كافة**﴾ ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ بعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سرّكم وعلنكم، والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين.[1]

قال الله تعالى: ﴿**ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2]

أي جعل اليهود علمائهم، والنّصارى عُبّادعهم، أربابا من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحلّه الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلها مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعُبّاد النصارى وما أمر عزيزا وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، فهو سبحانه إله واحد لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه وتقدّس أن يكون شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.[3]

❖ الفرق بين الإيمان والإسلام:

• الفرق من ناحية التعريف:

تعريف الإيمان: لغة:

الإيمان مصدر الفعل الرباعي آمن وأصله أأمن، وأعلنت الهمزة الثانية بالقلب ألفا لكونها ساكنة والتي قبلها متحرك بالفتح: وهذا أصل يدل على معنيين،

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،ج10، المرجع السابق، ص 383.

[2] سورة التوبة، الآية 31.

[3] ص 191.

الأول: إعطاء الأمن والأمان والطمأنينة، الذي هو ضد الخوف، وآمنته ضد أخفته.

الثاني: التصديق الذي هو ضد التكذيب.

وإذا قال العبد: آمنت بالله تعالى ربا، أي: صدقت به واطمأننت لأمره، فالإيمان في اللغة يراد به معنيان، يظهر معناهما بحسب السّياق وهما: الأمن وضده الخوف، والتصديق وضده التكذيب، والمعنيان متداخلان.[1]

ويرى ابن تيمية أنّ الإيمان بمعنى الإقرار: فيقول: ومعلوم أنّ الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد.[2]

اصطلاحا:

الإيمان: التصديق الجازم، والاعتراف التّام بجميع ما أخبر الله ورسوله عنه في القرآن والسّنة، وأمر بالإيمان به والانقياد ظاهرا وباطنا.[3]

وهو تصديق القلب واعتقاده، المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدّين كلّه، ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان قول القلب واللّسان، وعمل القلب واللّسان والجوارح.[4]

وهو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه وأعماله، فالإقرار والاعتراف بما لله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، والأفعال الناشئة عن أسمائه وصفاته.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت، ص 21.

[2] شيخ الإسلام بن تيمية، مجموع فتاوى، مجمع الملك فهد، السعودية، ط2، 1420هـ، ج7، ص 291.

[3] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، دار المناهج، رياض، ط1، 1376هـ، ص 121.

[4] ابن تيمية، كتاب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 127.

ومن هذا التعريف يتبين أنّ الإيمان ليس شيئا واحدا، بل هو مركب من ثلاثة أمور، كلّها لازمة وواجبة ليتحقق الإيمان وهي: اعتقاد القلب، وإقرار اللّسان، وعمل الجوارح.

ويتفرع عن هذه الأمور الثلاثة أعمال وشعب وأجزاء متفاوتة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن هريرة: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها شهادة لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان." متفق عليه.

تعريف الإسلام: لغة:

الإسلام في اللغة هو الإستسلام والانقياد، قال أبو بكر محمد بن بشار: يقال فلان مسلم وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان، وسلم له الشيء أي خلص له.[1]

قال الجوهري:

وأسلم أمره إلى الله، أي سلّم، وأسلم أي دخل في السلم، وهو الاستسلام، وأسلم من الإسلام، وأسلمه أي خذله.[2]

اصطلاحا:

يعني الإسلام بالمصطلح الإسلامي الدّال على الدّين السّماوي الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، ونزل لكل الناس والأقوام والحضارات فلا يستثنى أحدا، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[3]

[1] ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1979م، ص 1952/5.

[3] سورة آل عمران، الآية 19.

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.[1]

والإسلام في الشرع يأتي على معنيين:

المعنى الأول: الإسلام كوني: ومعناه استسلام جميع الخلائق لأوامر الله تعالى الكوني القدرية. ومنه قوله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[2]

فكل مخلوق هو مستسلم لله عزّوجل ومنقاد لأوامر الله تعالى الكونية القدرية سواء رضي أم لم يرض؛ فلا مشيئة للمخلوق في صحة أو مرض، أو حياة أو موت، أو غني أو فقير، ونحو ذلك.

والإسلام بهذا المعنى لا ميزة فيه لأحد على أحد، بل يشترك فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي، بل والحيوانات وجميع المخلوقات ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾.

المعنى الثاني: الإسلام الشرعي: ومعناه الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى الشرعية، وهذا المعنى ينقسم إلى عام وخاص:

فالإسلام العام: هو الدّين الذي جاء به الأنبياء جميعا.

والإسلام الخاص: هو الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

- **الفرق بينهما من حيث العموم والخصوص:**

ذهب أهل العلم إلى القول بعموم الإسلام وخصوص الإيمان، إذ إنه لا يمكن أن يوجد عمل ظاهر من غير تصديق قلبي، وإلا لشابه الإسلام النفاق، فالإسلام أعمّ من الإيمان، وهو يتضمنه أيضا، حيث لا يوصف بالإيمان من ثبت له وصف الإسلام فقط، إلا بدليل فالمؤمن أعلى درجة من المسلم وأخص منه،

[1] محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ثلاثة الأصول وأدلتها، تح: أبو أحمد ناصر بن عبد الله أبو غزالة، أبوظبي، ط1، 1436هـ، ص 56.
[2] سورة آل عمران، الآية 83.

وقالوا أيضا بتلازم بين الإسلام والإيمان، فكلا منهما يقتضي الآخر، وأنهما من الأسماء المشتركة التي إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا ومقصود ذلك كلّه[1] كما يلي:[2]

- إذا اجتمع الإسلام والإيمان، وذكرا مع بعضهما في نفس الموضع، فُسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، استدلالا بما ورد في حديث عندما سأل جبريل عليه السّلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام ونص الحديث: قال: **"يا محمد أخبرني عن الإسلام"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: "صدقت"، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: "أخبرني عن الإيمان" قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.)**[3] ففسر له النبي الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة.

- إذا افترق الإيمان والإسلام، حيث أطلق أحدهما وذُكر منفردا، يدخل فيه الآخر ويشمله، ويكون مقصود به الأمور الظاهرة والباطنة معيا. أي يمثل الدين بأكمله، فإذا ذكر الإيمان وحده، فإنه يشمل الإسلام، وفسّر بالأعمال الظاهرة والباطنة وكذا إذ ذكر الإسلام وحده، استدلالا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله...)**[4] حيث أدخل النبي عليه الصلاة والسّلام الإسلام بشعب الإيمان ودرجاته، وذلك بقوله أنّ أعلى شعب الإيمان هي لا إله إلاّ الله، التي هي أصل الإسلام.

- الإيمان يكون في القلب ويلزم من وجدوه في قلب صلاح الجوارح لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ).**

---

[1] الإمام ابن باز، الفرق بين الإيمان والإسلام، اطلع عليه يوم 10/05/2023.
[2] يوسف بن محمد علي الغفيص، شرح الطحاوية، ص 07.
[3] رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عمر بن خطاب، ص 08.
[4] رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن أبو هريرة، ص 35.

بخلاف الإسلام فإنه يكون في الجوارح وقد يصدر من المؤمن حقا وقد يكون من ناقص الإيمان هذا هو الفرق بينهما وقد تبين أنه لا يفرق بينهما إلا إذا اجتمعا في سياق واحد وإما إذا انفرد أحدهما في سياق فإنه يشمل الآخر.

وممّا ينبغي الإشارة أنّ جميع الأعمال الصالحة داخلة في الإسلام والإيمان، الظاهرة منها والباطنة فإذا جمع العبد بين الأعمال كلّها، صار مسلما مؤمنا، وإن التداخل بين مراتب الدّين ومعرفة علو الدرجات فيه تدفع المسلم للمسارعة إلى طريق باب الله سبحانه وتعالى، بغية الوصول إلى نيل رضا الله تعالى، ومن ثم فوز بجنته.

❖ الفرق بين الكفر والشرك:

• الفرق بينهما من ناحية التعريف:

تعريف الكفر: لغة:

جاءت لفظة الكفر في المعاجم اللغوية بمعنى التعطية والجحود، والزرع والستر. قال ابن منظور: وأصل الكفر التعطية الشيء وكفر الرّجل: نسبة إلى الكفر. وكل من ستر شيئا، فقد كفره وكفّره، والكافر الزارع لستره البذر بالتراب. والكافر: الزارع. وتقول العرب للزارع: كافر، لأنه يكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثارة ومنه قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[1] سُمي الكافر كافرا، لأنه ستر نعم الله عزّوجل.[2]

يقول "الرازي" والكفر ضد الإيمان وجمع (الكافر) (كفّار) و(كفرة) و(كفار) وجمع الكفارة (كوافر). و(الكفر) أيضا جحود النعمة وهو ضد الشكر، وقد كفره من باب دخل وكُفْرانا أيضا بالضم، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾[3] أي جاحدون.[4]

---

[1] سورة الحديد، الآية 20.
[2] ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 145/5.
[3] سورة القصص، الآية 48.
[4] محمد بن أبي بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، القاهرة، 1338هـ، ص 271.

اصطلاحا:

عرّفه الراغب الأصفهاني بقوله: الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة؛ أو الشريعة أو ثلاثها.[1]

وقد قال: ابن حزم الظاهري بنفس التعريف السابق للكافر، فقال ما نصّه "جحد الربوبية وجحد النّبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما صح عنده جاحده ينقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر."[2]

الكفر هو نقيض الإيمان، سواء كان بالقلب أو اللّسان أو الأعمال فعلا وتركا. والمتفق عليه عند أهل السّنة: أن الإيمان اعتقادا بالقلب كاعتقاد إله مع الله أو جحد وحدانية الله، أو بغض التبي صلى الله عليه وسلم أو دين الإسلام، وحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أنه أفضل من حكم الشريعة أو مساوٍ لها أو أنه مباح بالقول واللّسان، كالتلفظ بألفاظ الكفر كسبّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالدّين أو بترك الشهادتين، وبالأعمال، كالسّجود للصنم، أو ترك العبادات والوجبات بالكليّة.

وقال القرافي: وأصل الكفر إنّما هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية إمّا بجهل بوجود الصانع وصفاته العلى، ويكون الكفر بفعل كرمي المصحف في القادورات أو السّجود للصنم أو تردد للكنائس في أعيادهم بزي النصارى ومباشرة أحوالهم، أو جحد ما علم من الدين بالضرورة.[3]

تعريف الشرك: لغة:

شرك: قال ابن فارس: الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويقال: شاركت فلانا في شيء إذ

---

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح: محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1381، ص 815.

[2] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، 118/3.

[3]

صرت شريكه، وأشركت فلانا إذ جعلته شريكا لك، قال الله عزّوجل ثناؤه في قصة موسى ﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[1] وقد جاء بمعنى المخالطة.[2]

اصطلاحا:

عرفه عبد المحسن قاسم بقوله هو "دعوة غير الله معه"[3]، أو هو "مساواة غير الله بالله فما هو من خصائص الله"[4]، وعرفه أ.د.سعد عاشور بأنه "اتخاذ النّد مع الله تعالى سواء أكان هذا في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات أي جعل شريك مع الله تعالى في التوحيد"[5]، ويغلب هذه التعريفات الصبغة العقدية الصرفية، ولكن من خلال النظر في سياق القرآن الذي جاءت فيه ألفاظ الشرك يمكن القول بأن الشرك هو أن يكون مع الله ندا أو مثيلا فيما يخص الله من المعتقد أو العبادة أو الطاعة."

أي أن الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته، والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئا من أنواع العبادة؛ كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

والشرك أعظم الذنوب، لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في الخصائص الإلهية فمن أشرك مع الله أحدا فقد شبه به وهذا أعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[6] والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم ظلم.

- **الفرق بينهما من حيث العموم والخصوص:**

الشرك والكفر من المصطلحات التي إن اقترنت في اللفظ اقترنت في المعنى، وإن اقترنت في اللفظ اقترنت واجتمعت في المعنى كالإسلام والإيمان ويطلق كلّ

[1] سورة طه، الآية 32.
[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار جيل، بيروت، ط1، 1411هـ، ص 265/3.
[3] ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 448/10.
[4] عبد المحسن محمد القاسم، تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، الرياض، ط2، 1429هـ، ص 49.
[5] سعد عبد الله عاشور، التبيان شرح الإيمان، دار المنارة، فلسطين، 2006م، ص 148.
[6] سورة لقمان، الآية 13.

منهما على الآخر من، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ**﴾[1]

الكفر جحد حق وشره، كالذي يجحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب صوم رمضان أو وجوب الحج مع الاستطاعة أو وجوب برّ الوالدين ونحوهذا، وكالذي يجحد تحريم الزنا أو تحريم شرب المسكر أو تحريم عقوق الوالدين أو نحو ذلك. أمّا شرك فهو صرف العبادة لغير الله كمن يستغيث بالأموات أو الغائبين ويطلق على كافر أنه مشرك وعلى المشرك أنه كافر، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[2]

ونقول بينهما عموم وخصوص، فكل مشرك فهو كافر وليس كل كافر مشركا، فالذي يكذب ويجحد هذا ليس بمشرك، لكنه كافر والذي يدعوا مع الله إلها آخر هذا مشرك فهو في نفس الوقت كافر، فالنسبة بينهما العموم والخصوص.

المشرك كافر؛ لأنه أنكر شيئا من خصائص الله وعبادته وصرفها لغيره، ومن أشرك بالله لا ينفعه عمل دنياه وأما الكافر فقد يكون مشركا وقد لا يكون كذلك.

نستنتج أن الشرك والكفر كلاهما عملان يخرجان الإنسان من الإسلام ولهذا هما بمنزلة واحدة في الأحكام سواء في الدنيا أو في الآخرة. لكن الشرك: هو عبادة غير الله عزّوجل به، فهما طريقان مختلفان في العمل، لكن متفقان في النتيجة.

نتيجة:

وقد تبين ممّا سبق أن الإيمان والإسلام متقابلان إذ الأول مختص بعالم الغيب والثاني بعالم الشهادة، بحيث أنه يمكن القول عن المؤمن بأنه مسلم وليس كل مسلم مؤمن، والإيمان يكون في القلب ويلزم من وجوده في القلب بخلاف الإسلام فإنه يكون في الأعمال، وقد يصدر من المؤمن حقا وقد يكون من ناقص الإيمان.

[1] سورة البينة، الآية 06.
[2] سورة المؤمنون، الآية 117.

كما أن تبين أن الكفر هو الجحود بعالم الغيب تماما أي جحد للرب بالكلية، والشرك تنقص رب العالمين بجعل غيره شريكا له والكفر أعظم من الشرك، لأن الشرك فيه إثبات للرب، ويطلق كلّ واحد منهما على الآخر وإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا تشمل كلّ واحد معنى الآخر وحكمه.

فمن استسلم لله وحده فهو مسلم، ومن استسلم لله ولغيره فهو مشرك، ومن لم يستسلم لله فهو كافر مستكبر.

خاتمة

خاتمة

الحمد لله ذي الإفضال والإنعام، أعان على الابتداء ويسر الختام، والصلاة والسّلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج التي استخلصنها من مجموع الفصول والمباحث إلي تناولنها ويمكن تلخيص أهم هذه النتائج فيما يلي:

- التفسير الموضوعي نشأ مع نزول القرآن الكريم، فهو يشمل معنى تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسّنة، أي هو النظر الموضوعي للآيات التي تحيل إلى آيات أخرى.
- التفسير الموضوعي علم مستقل مؤلفة فيه الكتب، ويدرس مادة مستقلة في الجامعات والمعاهد، وأصبحت الحاجة ملحة إليه في هذا العصر.
- التفسير الموضوعي يقوم على جمع الآيات، لذلك ينبغي على الباحث والمفسّر أن ينظر نظرة شاملة لكل الألفاظ القرآنية المتعلقة بموضوعه.
- لتفسير كلام الله تعالى أصول وضوابط يجب مراعاتها قبل البدء في تفسيره، لذا يجب على من أراد التّصدي لتفسير القرآن الكريم أن يلتزم بها ويطبقها.
- إنّ التفسير الموضوعي له عدة أقسام وهذا يدل على إعجاز القرآن وما فيه من شمول والسّعة فقد يكون موضوع الدراسة لفظة واحدة أو سورة واحدة أو موضوع معيّن.
- إنّ هذا اللون هو فهم لمعاني كلام الله تعالى وليس مجرد فوائد فحسب، وهو المنهج الأسهل والأقرب إلى فهم الإنسان المعاصر، علما أن البحث فيه دفعت إليه حاجات الأمة في وقتها المعاصر.
- تبرز أهمية هذا التفسير في إصلاح واقع الحياة ومواكبته، فهو متجدد، وهو سبيل لبيان مدى حاجة الإنسان إلى هذا الدين.
- يسهم هذا العلم في الدعوة إلى الإسلام والحفاظ على العقيدة وارتفاع بمستوى التفكير العلمي الموضوعي لدى الباحثين وإيصالهم نحو الهدف دون تعب.
- يعد التفسير الموضوعي في أهم أغراضه تفسيرا دعويا تربويا اجتماعيا عصريا يهدف إلى بيان الحقائق القرآنية في موضوعات معينة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ.
- الأصفهاني الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، تح: محمد سيد كيلاني ، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباي الحلي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ط7.
- الألمعي زاهر عواض ، دراسات في التفسير الموضوعي ، مطبعة النرجس ، السعودية ، ط4 ، 1428 هـ.
- آل جعفر مساعد مسلم عبد الله ، أثر التطور الفكري في التفسير في العصرالعباسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1 ، 1405-1984.
- الأصفهاني محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، مركز المصطفى صلى الله عليه و سلم العالمي للترجمة والنشر ، دون بلد النشر ، ط2 ، 1431هـ.
- إيزدي مباركة كامران، شروط وآداب تفسير ومفسّر ، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران، ط1 ، 1376.
- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، 118/3.
- ابن القيم الجوية، بدائع التفسير ، تح: يسرى السيد، صالح الشامي، دار ابن الجوزي، ج2.
- البغوي أبو أحمد ، معالم التنزيل (التفسير البغوي) ، تح: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة ، بيروت، ط1، 1985، ج2..
- ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، دط، دت.
- ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد ، مجموع فتاوى، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة، السعودية، ط2، 1398، ج2.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دار جيل، بيروت، ط1، 1411هـ.

- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، دط، 1979م، ج5.

- الغفيص يوسف بن محمد علي، شرح الطحاوية.
- الجوهري ، تاج العروس وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، الناشر دار العلم الملايين ، بيروت لبنان ، ط 1990/4 ج 2.

- الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم، بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد العمران، دار الكتاب العربي، الرياض، بيروت، ط5، 1440هـ، ج4.
- جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط3، 1436هـ.
- حجازي محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1970.
- الحسيني أبو فرحة، الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي، مركز الحضارة العربية للإعلام، القاهرة، ط1، 1905م.
- الخالدي صلاح عبد الفتّاح ، التفسير الموضوعي لمصطلحات القرآن (التفسير والتأويل في القرآن)، دار النفائس، الأردن ، ط1 ، 1416هـ.
- الدوسري محمد، عظمة القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، سنة 1426هـ.

- الدغامين بزياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007.
- الذهبي محمد السيد حسين، مباحث في علوم القرآن التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1، 1398هـ.
- الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، بيروت، ط1، 1401هـ، ج15.
- رحماني أحمد، مصادر التفسير الموضوعي، مكتبة وهبة غابدين، القاهرة، مصر، ط1، 1998م،
- الزركشي البدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ج1.
- السيستاني الحسيني، سيد أبو القاسم ، تفسير موضوعي آيات قرآن دار كنج ، دون بلد النشر ، ط1 ، 1386 هـ.

- سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار الشروق للنشر ، مصر، ط6 ، 1398 ، ج1.
- السعودي، معالم التنزيل (التفسير اللغوي)، تح: خالد الملك، ومروان سوان، دار المعرفة، بيروت، ط1،ج2، دس.
- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، دار المناهج، رياض، ط1، 1376هـ.
- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، القواعد الحسّان لتفسير القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، 1402هـ،
- السيوطي جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ج1.
- السيوطي جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1354هـ، ج.3
- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام، السعودية، ط2، 1422هـ، ج1.
- الشيرازي الحسيني، محمد رضا، التدبر في القرآن، دار العلوم، بيروت، ط2، 1431هـ.
- الشيخ محمد عبده ، تفسير جزء عم، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، 1985.
- الشافعي، محمد إبراهيم، المنهج التقويمي في التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم دراسة منهجية تطبيقية، دار البيان للطباعة والنشر، دب ن، دط، 1990م.
- الصباغ محمد لطفي، بحوث في أول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ.
- الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن التأويل أي القرآن) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط3 ، 1388هـ ، ج 8.
- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: بشار عواد، عصام فارس الحرشاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1410هـ، ج2.
- عبد الستار سعيد ، المدخل إلى تفسير الموضوعي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ط2 1991.
- عبد البر بن أبي عمر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: سعيد أحمد أعراب، 1396هـ، ج5.

- عباس فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، دار النفائس، عمان، ط1، 2005م.
- عبد المحسن محمد القاسم، تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، الرياض، ط2، 1429هـ،
- العاشور سعد عبد الله، التبيان شرح الإيمان، دار المنارة، فلسطين، 2006م.
- العمري أحمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ/1986م.
- عبد الرحيم، عبد الجليل، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في كتفي الميزان، ددن، عمان، ط1، 1992.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1393هـ.
- الفرماوي عبد الحي، مقدمة في التفسير الموضوعي، ددن، مصر، ط2، 1977.
- فرحات أحمد حسن، في علوم القرآن ونقد وتحقيق، دار عمّار، عمان، ط1، 2001م.
- الكومي أحمد السيد، محمد أحمد يوسف القاسم التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار الهدى للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1402هـ/1982م.
- مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار العلم ، الدار الشامية ، دمشق بيروت ، ط3 ، 1423هـ.
-

الرسائل الجامعية:

- السماحي الشيخ محمد محمد، مذكرات في التفسير الموضوعي لطلبة الدراسات العليا، قسم علوم الشريعة والقانون، كلية أصول الدين الأزهر، درست هذه الكراسة في فترة السّتينات من القرن الماضي.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر

مقدمة .....أ ب ج

الفصل الأول: مفهوم التفسير الموضوعي

مدخل .....02.

التفسير لغة واصطلاحا .....03.

الموضوعي لغة واصطلاحا .....04.

تعريف التفسير الموضوعي .....05.

نشأة التفسير الموضوعي .....06.

خطوات البحث في التفسير الموضوعي .....09.

ضوابط التفسير .....15.

ألوان التفسير الموضوعي .....32.

أهمية التفسير الموضوعي .....38.

الفصل الثاني: تفسير الآيات القرآنية

جداول إحصائية للمصطلحات .....42.

نماذج من تفسير بعض الآيات القرآنية .....44.

الفرق بين الإيمان والإسلام.....56.

الفرق بين الكفر والشرك .....61.

خاتمة .....67.

قائمة المصادر والمراجع .....69.
فهرس الموضوعات .....74.
ملخص .....76.

ملخص

التفسير الموضوعي هو جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها، وقيل هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر، لكن لا بد لهذا العلم من أصول وضوابط لا يحيد عن مقصده، وهو خدمة لكتاب الله تعالى فهو يتميز بصفة التجدد والاستمرارية والسعة التي لا تنفذ معها المعاني، والتفسير الموضوعي له أثر في إبراز الحلول لكل متطلبات هذا العصر.

الكلمات المفتاحية: مصطفى مسلم، دلالة الآيات، موضوع قرآني.

Résume :

L'interprétation objective est l'exemble des versts coraniques qui parlent d'un seul sujet ou sujet et de leur interprétation commune qui leur est commune et des objectifs du Coran en eux. C'est un service rendu au livre de dieu tout puissant. Elle se caractérise par un renouvellement, une continuait et une amplitude qui ne manquent pas de sens, l'interprétation objective a un impact dans la mise en évidence des solutions à toutes les exigences de cette époque.

Les mots clés: Moustafa Musulman- le sens des vers-sujet coranique.

Summary :

Objective interpretation is the collection of the quranic verses that talk about an ssue or atopic together and deducing the common ruling from them and the purposes of the Quran in issues according ti the Quranic purposes through

one or more chapters, but this science must have principles and controls so that its does not deviate from this purpose and this article disuses, it is a service to the book of god Almighty, it is characterized by the characteristic of renevval, continuity, and capacity with which the meaning do not run out, the objective interpretation has an impact in highlighting the solutions to all the requirements of that time.

Key words: Mustaf Muslim- the meaning of the verses- Quranic Topic.